



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس المدارس اللسانية

أماي بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس دراسات لغوية استكمالا لملف
الترقية.

إعداد الدكتور:

بن بريك حراق

السنة الجامعية

1446 – 1445 هـ الموافق لـ 2023 – 2024 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[المجادلة: 11]

اللهم صل وسلم وزد وبارك وأكثر على سيدنا وحبينا محمد صلى
الله عليه وسلم.

السداسي الرابع

المادة: المدارس اللسانية

محتوى المادة:

المادة: المدارس اللسانية / محاضرة و تطبيق	السداسي: الرابع	المعامل: 02	الرصيد: 03
مفردات المحاضرة	مفردات التطبيق		
مدخل المدرسة / الحلقة / النظرية	كتاب محاضرات في اللسانيات العامة		
01	ياكوبسون		
02	تروبوتسكوي		
03	بنفينيست		
04	هيلمسليف		
05	مارتيني		
06	فيرث		
07	بلومفيلد / هاريس		
08	تشومسكي		
09	كاتس/ فودور		
10	سيمون ديك/ أحمد المتوكل		
11	أوستين/ سيرل		
12	عبد الرحمن الحاج صالح		
13			
14			

طريقة التقييم:

يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلا طوال السداسي المراجع: (كتب، ومطبوعات ، مواقع انترنت، إلخ).

- 1- كاترين فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة.
- 2- محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسة الحديثة.
- 3- أحمد مومن، اللسانيات –النشأة والتطور.
- 4- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الرقم
01	المحتوى	.1
03	مدخل : الحلقة والمدرسة والنظرية	.2
06	حلقة موسكو	.3
10	مدرسة براغ	.4
26	مدرسة كوبنهاغن	.5
35	المدرسة الوظيفية الفرنسية	.6
47	المدرسة السياقية	.7
55	المدرسة التوزيعية	.8
88	المدرسة التوليدية التحويلية	.9
95	مدرسة أوكسفورد	.10
128	المدرسة الخليلية	.11
143	خاتمة	.12
144	قائمة المصادر والمراجع	.13

مقدمة:

يحتوي هذا الماسك على محاضرات مقياس المدارس اللسانية الموجه لطلبة السنة الثانية ليسانس (ل م د) دراسات لغوية، والتي قدمتها خلال السنوات الجامعية 2016-2017 و 2017-2018 و 2018-2019 و 2019-2020 و 2020-2021 و 2021-2022 و 2022-2023.

وهي محاضرات رغم اختصارها فهي تقدم للطالب لمحة مبسطة عن مفهوم المدارس اللسانية وعن نشأة هذا العلم وتطوره وعن موارده ومجالاته. فمنذ ظهور هذا العلم في بداية القرن العشرين ميلادي على يد العالم السويسري فيردنان دي سوسير (ت 1913م) من خلال محاضراته المنشورة سنة (1916 م) على يد طالبه ألبار سيشهاي وشارل بالي، بدأت ثورة في مجال الدراسات اللغوية فظهرت الكثير من المدارس اللسانية.

وفي هذا السند تطرقت في المحاضرة الأولى إلى مدخل في المدارس اللسانية تطرقت فيه إلى مفهوم الحلقة والمدرسة والنظرية. وفي بقية المحاضرات تكلمت عن المدارس اللسانية الكبرى وعن روادها ومبادئها... إلخ.

وكان الهدف من هذه المحاضرات أن يصل الطالب إلى معرفة هذه المدارس الحديثة بدقة ويحيط بتاريخها وروادها، ويقف عند نظرياتها ومناهجها وأن يحصي مصادرها ومنابعها ويعدد مجالاتها وميادينها.

والله ولي التوفيق

وذلك من أجل الوصول إلى النتائج التي تساهم في تعزيز الفكرة الرئيسية التي تُبنى عليها النظرية. وقد تُثبت هذه النظرية حقيقة معينة، أو تساهم في بناء فكر جديد.¹

3- مفهوم المدرسة :

جاء في لسان العرب: دَرَسَ الشَّيْءَ وَالرَّسْمَ يَدْرُسُ دُرْسًا وَدَرَسَهُ الْقَوْمُ: عَفَوْا أَنْرَهُ وَالِدْرَسُ: أَنْزُ الدِّرَاسِ وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ: دَرَسَ الْأَنْزُ يَدْرُسُ دُرْسًا وَدَرَسْتُهُ الرِّيْحُ تَدْرُسُهُ دُرْسًا أَيْ مَحَنَهُ والمدرسة: مكان الدرس والتعليم.

*ويقال: هو من مدرسة فلان: على رأيه ومذهبه.

وجاء في معجم "المعاني الجامع" أن المَدْرَسَةَ: جماعةٌ من الفلاسفة أو المفكرين والباحثين، تَعْتَنُقُ مذهبًا مُعَيَّنًا، أو تقول برأىٍ مشترك * ويُقال فلانٌ من مدرسة فلان يعني ذلك أنه على رأيه ومذهبه.²

ومنه جاء المفهوم الاصطلاحي للكلمة التي تطلق على مكان التَّعليم والتَّدریس، و المدرسة اللسانية أو اللغوية هي: مجموعة من المفاهيم تتبناها طائفة من اللغويين، الذين تختلف أوطانهم وجنسياتهم بحيث تجمعهم وجهة نظر واحدة ومنهج واحد في معالجة الظواهر اللغوية.³

-المدرسة في الاصطلاح:

المدرسة هي المؤسسة العامة التي أنشأها المجتمع لتتولى تربية النشء الجديد على المعارف والحقائق، والقيم الاجتماعية والدينية، وطرق العمل والتفكير، يقول سمارك: "في شأن أهمية المدرسة باعتبارها مؤسسة اجتماعية، إن الذي يدير المدرسة يدير مستقبل البلاد، يقول جون ديوي*: إن بإمكان المدرسة أن تغير نظام المجتمع إلى حد معين، وهذا عمل تعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

ويعرفها الباحث عبد المنعم عبد الميلاوي كما يلي: "المدرسة منظمة اجتماعية متخصصة في توجيه النشء والشباب وتنفرد ببيئتها بيئة اجتماعية وتحمل المدرسة مسؤولية اختيار الخبرة الإنسانية للمتعلمين ونقل معناها ومحتواها ونتائجها إلى الصغار وبذلك تتميز المدرسة كأحد

¹ - تسعديت لحول، محاضرات مقياس مدارس لسانية، جامعة عبد الرحمان ميرة-بجاية، قسم اللغة والادب العربي، لسانيات عامة، 2021-2022 ص02

² - لسان العرب، درس، ص1360

³ - تسعديت لحول، محاضرات مقياس مدارس لسانية، مرجع سابق ص 03

* جون ديوي هو مرب وفيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفلسفة البراغماتية، ويعتبر من أوائل المؤسسين لها ولد في 1859/10/20 وتوفي عام 1952.

الرسائل الثقافية التي تؤثر على الفرد، وهذا يصف الباحث المدرسة على أنها منظمة اجتماعية متخصصة في التنشئة"¹.

التعريف السوسيولوجي للمدرسة: إن المدرسة هي تلك المؤسسة العمومية التي يعهد إليها دور التنشئة الاجتماعية للأفراد وفق منهاج وبرنامج يحددهما المجتمع حسب فلسفته، والمدرسة بشكل عام مؤسسة عمومية أو خاصة تخضع لضوابط محددة، تهدف من خلالها إلى تنظيم فاعلية العنصر البشري، بحيث تنتج وتعمل وفق إطار منظم يضبط مهام كل فئة، ويجعلها تقوم بعملها الخاص لكي يصب في الإطار العام ويحقق الأهداف والغايات والمرامي المرغوب منه.

¹ - ناصر إبراهيم، علم الاجتماع التربوي، دار جيل للنشر، بيروت 1966، ص 72.

المحاضرة الثانية: حلقة موسكو

عرفت اللسانيات قديما وحديثا العديد من العلماء الألسنيين الذين ساهموا في انتشارها تأليفا وتدريسا.

إن الإطلاع على تاريخ تطور الدراسات اللغوية في هذا القرن وتاريخ الفكر البشري، يكشف المدى الكبير الذي بلغته الألسنية كما يكشف فعل هذا العلم اللغوي وأثره في تطور تيارات العلوم الإنسانية و اتجاهاتها ومن أهم الألسنيين الذين ساهموا في ذلك، رومان جاكبسون قد يكون الألسنى الوحيد الذي امتازت حياته الطويلة بالنشاط الألسني المتنوع وبالمساهمة في تأسيس الحلقات الألسنية العلمية (نادي موسكو الألسني و نادي براغ الألسني). وفي هذا المبحث سنبحر في رحلة قصيرة لتتعرف على هذا العالم اللغوي وحياته وأهم انجازاته .

1/- حياته رومان جاكبسون ونشاطاته:

في موسكو 11 تشرين الأول 1896 ولد رومان جاكبسون في هذا العام وهو من عائلة يهودية روسية وهي في الأصل عائلة برجوازية ميسورة الحال تهتم كثيرا بالأسفار وترسل أولادها إلى البنديقية وباريس وألمانيا ليتعلموا اللغات منذ نعومة أظافرهم. لقد كان جاكوبسون يتمتع بقدرته على التكيف مع محيطه و هذه المرونة ساعدته كثيرا في حياته الشخصية.

أولع جاكوبسون بالمطالعة منذ صغره ، وكان يميل بكثرة إلى قراءة القصص الفرنسية والفضل في ذلك يعود إلى مدرسته Mile Dche و إلى جانب إتقانه الفرنسية تعلم أيضا اللغة الألمانية واللغة واللاتينية أيضا¹.

وقد زاول دراساته في موسكو بمعهد اللغات الشرقية ثم بالجامعة المركزية حيث تخصص في اللسانيات المقارنة والفيلولوجيا السلافية وعند اندلاع الحرب العالمية كان جاكبسون قد بلغ من عمره ثماني عشر سنة و أسس مع بعض الباحثين " نادي موسكو اللساني " الذي عقد أول جلسة له في مارس 1915م وكان من مهام هذا النادي البحث في مجالات الشعر التنظيم علم الجمال والعروض وأسهم فيه جاكبسون بوضع بعض النظريات الأدبية الحديثة ثم غادر جاكبسون روسيا عام 1920م بعدما شب نزاع فكري بينه و بين بعض أعضاء المدرسة الشكلانية التي كان واحد من أتباعها واستقر في تشيكوسلوفاكيا ليدرس بجامعة برنو Brno طوال إقامته هناك

¹ - رومان جاكوبسون، النظرية الألسنية، فاطمة طبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1413هـ 1993م، ط1، ص15، 16.

. وشاءت الصدفة أن يكون أيضا واحدا من مؤسسي نادي براغ اللساني و ناقش الدكتوراه بجامعة براغ سنة 1930م وشغل نائب رئيس نادي براغ عام 1938م¹. وفي عام 1939م أدى الغزو النازي لتشي كوسلوفاكيا بجاكوبسون إلى الهجرة إلى بلدان الإسكندنافية بسبب انتمائه العرقي إلى بني إسرائيل، ودرس بجامعة كوبن هاغن و أوصلو أوبسال. ونتيجة التهديدات النازية ضد هذه البلدان، رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1941م ودرس بالمدرسة الحرة للدراسات العليا التي أسست بنيويورك كمواطن للباحثين اللاجئين من أوروبا ما بين 1943م و 1949م -وهنا كذلك - كان جاكوبسون فضل كبير في تأسيس نادي نيويورك اللساني واستمر في التدريس بجامعة هارفارد ودرس هناك اللغة والآداب السلافين من سنة 1941م حتى سنة 1957م و بعد هذه الفترة التحق بمعهد ماماتشوست التكنولوجي، حيث قام بتدريس اللسانيات العامة واللسانيات السلافية.

2- مؤلفاته:

ألف جاكوبسون ما يزيد عن 370 كتابا ومقالة وما يزيد عن مائة عمل شملت العديد من النصوص والمقدمات والأشعار المختلفة و يوجد عدد كبير من مؤلفاته في المجلدات التسعة الأولى من أعمال نادي براغ اللساني ومن أهم مؤلفاته.

- 1-ملاحظات حول التطور الفونولوجي للروسية بالمقارنة مع اللغات السلافية الأخرى (أعمال نادي براغ اللساني، II، 1929 ،).
- 2- لغة الأطفال ، الحسية والقوانين الفنولوجية العامة (أوبسال 1941).
- 3- مقدمة في تحليل الكلام :أخرجه بالاشتراك مع "هال"(Halle) و فانت (Fant) عام 1952م (طبعة معهد مساتشوست التكنولوجي .
- 4- مبادئ اللغة العربية ظهر عام 1956م بالاشتراك مع "هال"(Halle) لاهاي مواطن.
- 5- محاولات في اللسانيات العامة (باريس طبعة مينيوي 1963م) وهو آخر و أهم مصنف للمؤلف و يضم إحدى عشرة مقالة ألقت بعد 1950م عند إقامته بأمريكا².

- ومن مقالاته الشهيرة في الفنولوجيا.

¹ - أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، معهد اللغات الأجنبية- جامعة قسنطينة، بن عكنون -الجزائر- ط2 ، 2005 ، ص145.

² - أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، مرجع سابق، ص146.

- 1- مبادئ الفنولوجيا التاريخية محررة بالألمانية (أعمال نادي براغ اللساني, VI, 1931م).
- 2- حول نظرية الأصول الفنولوجيا المشتركة بيت اللغات (أعمال المؤتمر الدولي السابع للسانيات بروكسل, 1939م¹).

-الجهود اللسانية لرومان جاكوبسون:

يعد رومان جاكوبسون (1896م – 1982م) من أهم رواد الشكلانية الروسية الذين اهتموا بنظرية الأدب ويعتبر كذلك من أهم المفكرين واللسانيين في القرن العشرين وهو من أهم رواد التحليل البنيوي في ميادين: اللغة و الشعر و الفن وقد عرفت مسيرته العلمية ثلاثة مراحل أساسية وهي :

أولاً: حلقة موسكو اللسانية (1915-1920) والتي أنا بصدد عرضها في المبحث الثاني والتي اندمجت في الأبوياز.

ثانياً: مرحلة حلقة براغ بتشيكوسلوفاكيا (1930م-1920م).

ثالثاً: مرحلة التدريس بالولايات المتحدة الأمريكية في جامعة هارفارد ومعهد مسانشوست للتكنولوجيا (Mit)

وفي هذه الفترة بالذات ,انشغل باللسانيات العامة , وتدرّس اللغات الآداب السلافية² .

وقد قال عنه الباحث الأمريكي ديفيد كارتر (David Carter) صاحب كتاب (النظرية الأدبية) كان رومان جاكوبسون جسراً بين الشكلانية الروسية و البنيوية وقد كان عضواً مؤسساً لدائرة موسكو اللغوية حيث تكشف جميع كتاباته عن المركزية النظرية اللغوية في فكره, وخاصة تأثير سوسير. كما كان أحد المؤيدين المتحمسين للشعراء التجريبيين في عام 1920م انتقل جاكوبسون إلى تشيكوسلوفاكيا, وساعد على تأسيس دائرة براغ اللغوية المؤثرة وبسبب الغزو النازي لتشيكوسلوفاكيا في عام 1939م, غادر البلاد واستقر أخيراً في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1941م.

وقد خلف لنا رومان جاكوبسون مجموعة من الدراسات و الكتب القيمة مثل : (الشعر الروسي الحديث) 1921م و (حول الشعر الشيكوي) 1923م, و(أبحاث في اللسانيات العامة). 1963م, و(ثمانية أسئلة حول الشعرية). 1977م³.

¹- نفس المرجع, ص147.

²- جميل حمداوي, النظرية الشكلانية في الأدب والفن, دار الريف للطبع و النشر الالكتروني, الناظور, تطوان, المملكة المغربية, 2020, ط1, ص43.

³- جميل حمداوي, النظرية الشكلانية في الأدب والفن, مرجع سابق, ص43.

لقد أسس رومان جاكوبسون ،بالتنسيق مع تروبوسكوي Nikolai Troubetzkoï وماتسيوس (Mathesuis) وأندريه مارتينييه (A.Martinet), ووليام لابوف (W. Labove) إتجاهها لسيانيا يعرف بالاتجاه البنيوي الوضعي, وتعد حلقة براغ بمثابة الحاضن الرئيسي لهذا الإتجاه اللساني.

وإذا كانت البنيوية السويسرية تهتم بدراسة اللغة فقط, فإن وظيفي براغ يربطون اللغة بوظائفها في المجتمع أي: يدرسون بنية اللغة وشكلها في علاقتها بوظائفها السياقية والإستعمالية وعلى أساس أن اللغة وظيفتها التواصل داخل المجتمع.

ومن هنا تبحث جماعة براغ في وظائف اللغة واستعمالاتها بالإضافة إلى شكلها وبنيتها و إذا كان سوسير ينظر إلى اللغة باعتبارها منظومة (System), فإن جماعة براغ يضيف إلى ذلك بعدين إثنين و هما: البعد البشري والبعد الأدبي. أي الوظيفة الاجتماعية و الوظيفة الشعرية (مع جاكوبسون خاصة)¹.

- و يعرف رومان جاكوبسون باهتمامه بالشعرية من جهة ,وبالنحو الكلي من جهة ثانية. فعلى مستوى الشعرية, ربط اللغة بستة عناصر هي: المرسل, والمرسل إليه, والرسالة, والمرجع,و القناة, و السنن و حدد لكل عنصر وظيفة معينة . وبالتالي , فقد تحدث عن أدبية الأدب, والقيمة المهيمنة في تصنيف الأجناس و الأنواع الأدبية. كما تحدث عن تطور الأنساق الأدبية الشكلية, و تعمق في دراسة الشعر في ضوء عناصره البنيوية سواء أكانت صوتية أو صرفية أم إيقاعية أم تركيبية أم دلالية أم بلاغية, ضمن المحورين الاستبدالي والتركيبي ومن الناحية اللسانية, فقد أرسى رومان جاكوبسون نحوا كليا في المجال الفونولوجيا, بمعنى أن جميع اللغات يمكن تحليلها انطلاقا من مقاييس موحدة (معيارية) وهذه النظرية التي طبقها جاكوبسون في الفونولوجيا والتي سيطبقها تشومسكي فيما بعد على التركيب, أتاحت له إبداع نظرية أخرى تعرف بنظرية (السمات المميزة). وكان له بذلك دور حاسم في إعادة توجيه مجرى اللسانيات في الولايات المتحدة الأمريكية, فقد ظل الوصفيون الأمريكيون قبل مجيء جاكوبسون, يشغلون ضمن فلسفة النسبية, إذا طالما اعتقدوا أن اللغات قد تختلف بعضها على بعض إلى مالا نهاية وقد كانوا يعتقدون أن لكل هيكلها الذي يميزها عن غيرها.²

أما جاكوبسون فكان يؤمن أن اللغات قد تختلف فيما بينها فعلا, ولكن ضمن حدود معينة, بحيث تجمعها خواص هي ما أطلق عليه النحو الكلي فقد نتحدث لغات مختلفة بل قد نستعمل في

¹ - نفس المرجع,ص45

² - نفس المرجع,ص46

كلامنا أصواتا متنوعة , مثل الخاء التي توجد في بعض اللغات وتفقدتها لغات أخرى لكن نجد السمات دائما فيها جميعا , مثل: حلقي و رخو وشديد....إذا تختلف اللغات حقا, غير أنها في هذه الحالة بمثابة يد واحدة تتفرع إلى أصابع وتلك هي فرضية النحو الكلي.

وإذا كان البنيويون التوزيعيين الأمريكيون يربطون اللغة بالحضارة التي نشأت فيها, فإن تشومسكي يربطها بالدماغ النفسي, لأن الناس يتفقون في السمات المميزة للأصوات, وهذه الأصوات لها ارتباط بالجهاز الصوتي والنفسي: أن رومان جاكوبسون يستدل بحجة أخرى على النحو الكلي "فعل عكس البنيويون الأمريكيون السابقين لجاكوبسون , وهم الذين كانوا يربطون كل لغة بحضارتها الخاصة." (كما جاء في فرضية سايبير وورف) .

ويطبعونها بطابع اجتماعي, نجد جاكوبسون يعتقد عكس ذلك فاللغة بالنسبة إليه لها علاقة بالنفس والدماغ لا يتفق الأمر عند الحقيقة أننا نتشارك في تلك السمات, مثل: [شفوي],[رخوي] [التي تبين وجود تشابه في النطق مخرجا وصفة, بل يتعداه لإثبات غاية أهم من ذلك. لقد أراد جاكوبسون أن يوضح ما وراء المجرى الصوتي إلى حيث الدماغ فالصفات المميزة (المقدرة ببضع عشر) لها حقيقة نفسية وهي ذاته بالنسبة لجميع البشر ,ولهذه الحقيقة دلالات تتعلق بلغة الطفل¹.

فإذا أخذنا طفلا مغربيا إلى الصين فإنه يكتسب الصينية دون أدنى صعوبة في بضع سنوات, وشرط أن لا يتجاوز عمره سنه ما يعرف في اللسانيات بـ"مرحلة اللبونة" تماما كما لو فعلنا ذلك بطفل صيني , وذهبنا به إلى إنجلترا , فإنه يكتسب اللغة الانجليزية كأنها لغة أمه.

أوجد جاكوبسون مجموعة من السمات المميزة ولأوصاف المحددة للفونيمات بغية التمييز بينها صوتيا ودلاليا ومن قبل , كان اللسانيين يشتغلون على الفونيم ضمن اللغة المجردة في حيث انصب اهتمام جاكوبسون على المميز بمعنى إذا كان الفونيم هو أصغر وحدة عند اللسانيين فإن جاكوبسون يقسم هذا الفونيم إلى أصغر من ذلك أي :إلى مجموعة من السمات والقيم الخلفية.

وقد وضع جاكوبسون نظاما من اثني عشرة خاصية صوتية وتنظيمية تطبق على الصوامت والصوائت إن تلفظا وإن سمعا ,بحيث ميز بين مجموعة من السمات المميزة: صامت/صائت , مجهور/مهموس ونهائي/ ولانهائي, وانفجاري/غير انفجاري, وهادئ,حاد, وممتد, باهت, وفي العربية يمكن الحديث عن مجموعة من السمات المميزة:صائت , وصامت , ومهموس ,

¹ - جميل حمداوي ,النظرية الشكلانية في الأدب والفن, مرجع سابق, ص46.

ومجهور، وشديد ، ورخو، ومانع متوسط، وتكراري، وشفوي، ولثوي، وغاري، وطبقي، وحلقي، وحنجري، و لهوي¹.

لقد كانت جهود رومان جاكوبسون اللسانية متميزة و واضحة بشكل، فقد ترك تأثيرا ملحوظا في لسانيات القرن العشرين ولا سيما في مجال الفنولوجيا، ويمكن حصر اهتماماته اللسانية الأخرى في دراسة الأفازيا والعناية بالتنسيق اللساني ، و الاهتمام بالسماط المميزة للأصوات والفونيمات .

- الشعرية عند "رومان جاكوبسون":

أما "رومان جاكوبسون" يرى أن: «الشعرية هي ذلك الفرع من اللسانيات الذي يُعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة . وتهتم الشعرية، بالمعنى الواسع للكلمة، بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وإنما تهتم بها أيضا خارج الشعر حيث تُعطى الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية»².

ومن خلال هذا القول: نستنتج أن هذا العلم قد انبثق من أرضية ألسنية بالإضافة إلى أنه يهتم بالشعر والنثر أيضا كما أن له علاقات مع غيره من العلوم اللغوية كالبنوية والأسلوبية. فالقضية الأساسية في شعرية "رومان جاكوبسون" هي قضية الأدبية، بمعنى آخر ما الذي يجعل من الرسالة كلامية عملا فنيا³. و يرى جاكوبسون أن الشعرية «هي العلم الذي يشمل كل الأنساق والبنىات اللفظية. ولكي تستوعب مختلف هذه البنىات، كان عليها ألا تُخْتَزَل في الجملة أو أن تكون مرادفة للنحو. فهي لسانيات الخطاب أو لسانيات فعل القول»⁴

وقد بين "جاكوبسون" «أن استهداف الرسالة بوصفها رسالة والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص، هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة»⁵. مؤكدا بأن كل رسالة مهما كانت تتضمن وظيفة أدبية، إلا أن هذه الوظيفة تختلف من نص إلى آخر⁶.

فالشعرية عند رومان " جاكوبسون " مبنية على الوظيفة الشعرية باعتبارها الوظيفة السائدة في الخطاب الأدبي، وهي التي تمنح الرسالة اللغوية صفة أدبية .

1- نفس المرجع، ص47

2- رومان جاكوبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ط1، 1988م، ص35

3- خوله مبروك، الشعرية بين تعدد المصطلحات واضطراب المفهوم، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد2013، 09م، ص369

4- رومان جاكوبسون، قضايا شعرية ص07

5- المرجع نفسه ص31

6- بشير تاوريت، الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي و أفق النظرية الشعرية، دار رسلان، سوريا، ط2008، 1، ص39

وهكذا كانت الأجواء التي عاشها جاكوبسون سواء في طفولته أو في مراهقته أو شبابه، بالإضافة إلى أشعاره ومقابلاته ومعارفه أثر كبير في إثراء دراساته و تنوعها و عمقها و قد كان هذا الألسني يتمتع بذاكرة أسطورية لا تقف عند حدود الصوت بل تعمل كحاسة سادسة لديه فقد كان جاكوبسون أشبه بجهاز استقبال خارق قادر على أن يلتقط البث بوضوح تام مهما كان بعده فيرصد كل ما يتجدد حوله لينقله و يستسيغه ويستعمله في أفكاره الخاصة.

توفي جاكوبسون عام 1982، بعد أن قضى حياته مليئة بالعمل والبحث والدراسة¹.

¹ - رومان جاكوبسون، النظرية الألسنية، ت، فاطمة طبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1413هـ
1993م، ط1، ص22

- التعريف بحلقة موسكو اللغوية ونشأتها:

غالبا، ما توسم "حلقة موسكو اللغوية" " Cercle Linguistique de Moscou " بالشكلانية"

" Formalisme "، أو "بالمدرسة الشكلانية الروسية" " Le Formalisme russe "، لكن يمكن أن نضيف إليها "مدرسة تارتو السيميائية الثقافية" " l'école de la sémiotique " culturelle Moscou " "بموسكو"بروسيا"، و"تارتو" Tartu "بإستونيا" " Estonie "، و"حلقة براغ اللغوية" " Cercle Linguistique de Prague ".

وعليه، فقد ظهرت "حلقة موسكو" ما بين 1915 م، و 1930 م، في سياق تاريخي ينبذ الرأسمالية، ولا يعترف إلا بالاشتراكية العلمية التي تعود، في جذورها، إلى كتابات " كارل ماركس" " Karl Marx "، و"جورجي بيليخانوف" " Gueorgui Plekhanov "، و"فريدريك هيجل" " Georg Wilhelm Friedrich Hegel "، و"فريدريك أنجلز" " Friedrich Engels "، و"جورج لوكاش" " Georg Lukács "، وغيرهم من المنظرين الجدليين، مع السعي الجاد نحو ربط المضمون الأدبي بالواقع الثوري والعملية، والمادي، ومحاربة جميع التيارات الشكلية والنزعات البنيوية التي تعنى بالشكل على حساب المضمون¹.

2- نشأتها:

تكونت هذه المدرسة ابتداء من سنة 1915 ؛ أي منذ أن وصل كارفسكي تلميذ دي سوسير إلى موسكو ونشر أفكار أستاذه بين الدارسين الشباب الذين كان لديهم استعداد لتقبل هذه المفاهيم الجديدة، والعمل بها في مجال تطوير مناهج الدراسة اللغوية التي كانت تخضع للمناهج التقليدية . من هؤلاء الشباب تروبسكوي وياكوبسون .

حدث التغيير على مستوى:

الأهداف (الدراسة اللغوية)

المنهج.

المصطلح.

الإجراءات التطبيقية².

¹ - جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية،

2016م، ص 06

² - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشور أكاديمية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ط2، 1434 هـ 3102 م ص 47

وكانت تهدف إلى إنجاز دراسات لسانية وشعرية وعروضية وفولكلورية، وترى أن الشعر لغة في ممارستها للوظيفة الجمالية، وكانت تطمح، بحكم تخصصها اللغوي، إلى توسيع مجالات الألسنية لتشمل الشعرية، وكان من أبرز أعضائها وقتها "رومان جاكبسون والذي صار يغذي الحركة بدراساته ثم عندما غادر موسكو إلى تشيكوسلوفاكيا عام 1920 ، نقل مبادئها معه إلى "حلقة براغ اللغوية"¹.

الذي أثرى اللسانيات بأبحاثه الصوتية والفونولوجية. كما أغنى الشعرية بكثير من القضايا الإيقاعية، والصوتية، والتركيبية، ولاسيما نظريته المتعلقة بوظائف اللغة، والتوازي، والقيمة المهيمنة، والقيم الخلفية²

نشأت على هامش هذه المدرسة اللسانية جمعية كانت تسمى آنذاك بجمعية دراسة اللغة الشعرية ظهرت هذه الجمعية ابتداء من Société d'étude du langage poétique (OPOIAZ) سنة 1916 ، ثم تحولت إلى مدرسة نقدية قائمة بذاتها ابتداء من سنة 1917 أضحت تُعرَفُ باسم (Formalisme) الشكلانية كان شعار الشكلانيين هو أن الأثر الأدبي يتميز ب بروز شكله؛ أي إعادة الاعتبار إلى الجانب الشكلي المغيب في النقد الروسي التقليدي الذي كان نقداً مدنياً كما يقال، إذ كان يعول إجراءاته التطبيقية والتحليلية للنص الأدبي على العوامل الخارجية ، ويغفل الجانب الشعري الذي يمتاز به الأثر الأدبي من سواه قد يتوهم القارئ بأن مصطلح الشكل هنا يعني تغليب الشكل على المضمون في إطار الثنائية التقليدية التقابلية: الشكل والمضمون، بل القصد كما هو واضح من أعمالهم هو التعامل مع البنية المورفولوجية للنص من حيث هو وحدة تحمل خصوصيات بنائها في ذاتها، وتحرير النص من سلطة الخارج³.

ومن ثم، فقد حوربت أفكار "حلقة موسكو" أمدا طويلا ، بعد أن تعاضم الدور الاشتراكي، واليساري للأدب، ولم يتحقق النجاح لهذه الشكلانية إلا بعد اطلاق الأوروبيين عليها، سيما الفرنسيين منهم سنة 1960م عبر الترجمة، والصحافة، والاحتكاك الثقافي، والتمثل العملي، فطوروا تصوراتها النظرية، والتطبيقية وانطلقوا من مبادئها الفكرية، واستخدموا مفاهيمها الإجرائية، خاصة في مجال "اللسانيات" و"السيميائيات"، و"نقد الأدب".

¹ - تسعديت لحول، محاضرات مقياس مدارس لسانية، مرجع سابق ص 31

² - جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، مرجع سابق ص 10

³ - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، مرجع سابق ص 48

كما يتبين ذلك واضحا عند كثير من الدارسين الأوروبيين، نذكر منهم: "رولان بارت" " Roland Barthes"، و"كلود ليفي شتروس" " Claude Lévi-Strauss"، و"كلود بريمو ن" " Claude Bremond"، و"جيرار جنيت" " Gérard Genette"، و"جوليان غريماس" " Algirdas Julien Greimas"، و"فيليب هامون" " Philippe Hamon"، و"أمبرطو إيكو" " Umberto Eco"، و"جان مولينو" " Jean Molino"، و"تزنيفان تودوروف" " Tzvetan Todorov" و"جوليا كريستيفا" " Julia Kristeva"، و"جان كوهين" " Jean Cohen"، و"فرانسوا راستي" " François Rastier" علاوة على اللسانيين، أمثال: "أندريه مارتينييه" " André Martinet"، و"لويس هلمسليف" " Louis Hjelmslev" و"نعوم شومسكي" " Noam Chomsky"، و"جيرولد كاتز" " Katz Jerrold"، و"جيرري فودور" " Fodor Jerry"..." وغيرهم.¹

- مبادئ حلقة موسكو:

تتبنى أفكار حلقة موسكو على مجموعة من المبادئ النظرية التي يمكن حصرها في العناصر التالية:

1 الاهتمام بخصوصيات الأدب والأنواع الأدبية. أي: البحث عن الأدبية، وما يجعل الأدب أدبا؛ التركيز على أدبية النص (Littéarité) أي: العناية بما يميز النص الأدبي على باقي النصوص الأخرى، أو ما يسمى بالوظيفة الجمالية أو الشعرية² عند "رومان جاكيسون"، فكل جنس أدبي له وظيفته الخاصة، حيث تمتاز القصة بالوظيفة القصصية، والرواية بالوظيفة الروائية، والمسرح بالتمسرح، وهكذا، مع باقي الأجناس الأدبية الأخرى، وترتكز الوظيفة الجمالية على إسقاط المحور الاستبدالي على المحور الأفقي، ويقصد بالمحور الاستبدالي المعنى أو التردد أو الدلالة، في حين يقصد بالمحور التألفي علاقات المجاورة أو علاقات التركيب النحوي، ويعني هذا كله أن الوظيفة الجمالية تتضمن الدلالة والنحو معا.

2-العناية بالشكل: لقد تجاوز الشكلانيون الروس ثنائية الشكل والمضمون، وقد اعتبروا الشكل علامة الدلالة، فمن خلال الشكل يبدو المعنى مبنيا، ويتجلى في آثاره الفنية والجمالية واللغوية والنصية، لذا اهتم الشكلانيون بالوزن، والقافية، والنواحي الصوتية، وما إلى ذلك من جوانب

¹ - رومان جاكيسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م، ص 78

² - جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، مرجع سابق ص 13

شكلية متعلقة بالصياغات اللغوية التي يتكون منها العمل الأدبي، في مقابل إهمالهم المضمون والمحتوى، فهم يرون أن المضمون الذي يقدمه العمل الأدبي ليس ذا أهمية بالنسبة إلى إنشاء الشعر، فالمضمون ليس أكثر من مجرد دافع للعمل الأدبي، وللنواحي الشكلية التي يُنشئها المؤلف فيه¹.

3-الانفتاح على اللسانيات: أهم ما تمتاز بها الشكلانية الروسية اهتمامها بمكتسبات اللسانيات، وخاصة في دراسة الشعر، بتوظيف المستويات الفونولوجية والصوتية والإيقاعية والتنغيمية، ودراسة البنية الصرفية، ورصد مستويات الدلالة والتركيب معا.

المقاربة البنيوية:

تستند الشكلانية الروسية إلى المقاربة البنيوية اللسانية التي تعنى بدراسة بنيات السرد والشعر والحكاية، وكذلك تحليل بنيات الشخصيات بطريقة بنيوية محايدة، وثابتة، ووصفية، وسكونية.

تقعيد الأجناس الأدبية:

اهتم الشكلانيون الروس بتقنين الأجناس الأدبية تجنيسا، وتصنيفا، وتتميطا، وفق المقاييس اللسانية والشكلية، مستبعدين المضامين والمرجعيات الإيديولوجية.

الاهتمام بنظرية الأدب:

يعد الشكلانيون الروس من أهم العلماء الذين اهتموا بتأسيس نظرية للأدب في ضوء المعطيات اللسانية، والمقاربات الشكلانية، والتصورات البنيوية والسيمائية. وبهذا، يكونون قد مهدوا للدراسات البنيوية اللسانية والدراسات السيميوطيقية الشكلية².

إقصاء المرجع الخارجي:

لقد لأقصى الشكلانيون الروس ما يسمى بالمرجع النفسي والاجتماعي، وتجاوزوا المضامين والمحتويات والخبرات والشعارات الإيديولوجية، باستجلاء أسرار الشكل بنية، ودلالة،

الدفاع عن الشعر الجديد:

كانت الشكلانية الروسية تدافع عن الشعر الجديد، أو ما يسمى أيضا ب"الشعر المستقبلي" كما عند ماكايوفسكي، ويمتاز هذا الشعر بطابع رملي إيحائي، ويتسم بالغموض على مستوى المجاز. ناهيك عن الانزياح، والاهتمام بالشكل، والتنغيم الإيقاعي، والطابع غير العقلي... كما

¹ - جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، مرجع سابق ص 14

² - جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، مرجع سابق ص 14

اعتني بشعر (أنا أخماتوفا) الذي كان يطبعه النظم السريع والبعد السيكولوجي. وعليه، فقد كانت الشكلانية الروسية "مهمة بتحليل الشكل وبنية النص واستخدامه للغة أكثر من المحتوى أو المضمون.

أراد الشكلانيون الروس أن يؤسسوا أساسا علميا لدراسة الأدب. وكانت عقيدة الشكلانيين الروس المبكرة متطرفة: فقد كانوا يؤمنون بأن المشاعر الإنسانية والأفكار التي يتم التعبير عنها في الأعمال الأدبية ثانوية، وقدموا السياق فقط من أجل تطبيق التقنيات الأدبية. وخلافا للنقد الجديد في أمريكا، لم يهتم الشكلانيون بالدلالة الثقافية والأدبية للأدب، ولكنهم كانوا يرغبون في استكشاف كيف تستطيع مختلف التقنيات الأدبية أن تنتج تأثيرات جمالية معينة." وهكذا، فقد كان الشكلانيون، بصفة عامة، والشكلانيون الروس بصفة خاصة، يرجحون كفة الشكل على المضمون، ويهتمون بالأبنية والأنساق والخطاطات التجريدية على حساب المضمون الذهني والعاطفي والإنساني¹.

¹ - جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، مرجع سابق ص 15

المحاضرة الثالثة: مدرسة براغ

تمهيد:

مع تعدد المصنفات باللغات الأجنبية واللغة العربية التي تعرف بالألسنة وبفروعها، ومع توالي صدور المعجمات التي تعرف بالمصطلحات اللسانية، يشهد التأليف في موضوع المدارس اللسانية بعضها من الجمود والركود.

تعد ابتداء التأليف في هذا الموضوع في العقد الرابع، من نهاية القرن الماضي مع عالم اللغة السويسري دي سوسير، ومن أهم هذه المدارس اللسانية المدرسة الفونولوجية أو مدرسة براغ، إضافة إلى الأعلام البقية ك: فيلم ماثيسوس* وغيره من اهتمامات نادي براغ الألسني الاهتمام بالدراسات الفرملوجية، وقد عرف بالتيار الوظيفي عبر دراسة مظاهر اللغة كلها من أعضائها تروبتزكوي و جاكبسون، ومارتينيه.

مدرسة براغ وأهم جهودها:

من المدارس اللغوية التي تأثرت بثنائيات سوسير وآرائه في اللغة المدرسة المعروفة باسم حلقة براغ Prague arche التي ظهرت عام 1926 عندما انظم إليها بعض اللغويين الروس الهاريين من تعسف الثورة: الشيوعية في موسكو، وفي مقدمتهم رومان جاكبسون، و نيقولاي تروبتزكوي و كارل بولر و جان موكاروفسكي.¹

التعريف بمدرسة براغ ونشأتها:

عقد أصحاب هذه المدرسة عدة لقاءات منتظمة، وقدموا ورقة عمل مدرستهم إلى المؤتمر الأول لعلماء اللسانيات المعقودة في لامي-هولندا عام 1928 تحت عنوان: الأعمال الأساسية لحلقة براغ اللغوية الذي أكد على الوجود الوظيفي للغة، تبنا فيها المنهج الوصفي بدلا من المعياري أو التاريخي في دراسات اللغات.

* فيلم ماثيسوس: هو عالم لغويات تشيكي، أحد زعماء حلقة براغ، ساهم في تطوير طرق التحليل اللغوي التركيبية بين عامي 1928 إلى 1939، ولد عام 1882 وتوفي في 12 أبريل 1945.
1- ينظر، إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى والثانية، 2007-2009، ص 21.

وقد تلى هذا المؤتمر بيانهم الذي أصدره في مؤتمر اللغات السلافية عام 1929 الذي ضم صياغة نظريتهم البنائية في مستواها الصوتي والدلالي، مؤكداً على أن أساس اللغة يكون في أنها تنشأ وتتطور كوحدة متكاملة، وليس على هيئة حلقات تطويرية فردية تولد في الأذهان لا ربط لها.¹

"ويعد أول ظهور لهذه المدرسة مع العالم التشيكي قيلم ماثسيوس الذي ألقى محاضرة دارت حول خصيصة اللغة كان حوالي سنة 1911، وأشاد جاكبسون* بأهمية هذه المحاضرة بقوله "لو كانت هذه المحاضرة أُلقيت في مكان آخر غير براغ في موسكو مثلاً لأحدثت ثورة حقيقية في الدراسات اللسانية آنذاك."²

حيث أصبح هذا النادي براغ اللساني يعرف فيما بعد بمدرسة براغ أو المدرسة الوظيفية أو الفونيمية، كما بلغت هذه المدرسة ذروتها في الثلاثينيات، وما زال نفوذها مستمر إلى يومنا هذا بخلاف للمدارس الأخرى لأنها لم تقتصر في عضويتها على لسانيين مقيمين في براغ فقط وإنما ضمت كثيراً من الباحثين المتخصصين في اللغات السلافية من تشيكوسلوفاكيا وخارجها.

وقد غلب على أعلام هذه المدرسة أمران هما الاهتمام بالصوتيات ثم الاهتمام بالوظائف اللغوية أو المهام التي تؤديها اللغة، وبهذا نرى أنهم عملوا برأي سوسير من خلال الاهتمام بالعالم الداخلي للغة الأصوات وتناول العلاقة بين اللغة والواقع غير اللغوي.³

"وفي عام 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية أعدها جاكبسون وعقد في براغ "مؤتمر الصوتيات" ثم تأكدت الحركة الصوتية على المستوى الأولية بمجموعة من المؤتمرات اللاحقة تبلورت في ثمانية أجزاء من أعمال "حلقة براغ" تباعاً حتى عام 1938، وهي السنة التي حلت فيها الحلقة لأسباب مجهولة، وقد صقلت مبادئها ومفاهيمها على يد اللساني أندريه مارتيني و إميل بنيفيست وطور اتجاه الحلقة حديثاً

1- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2002، ص 235.
* رومان جاكبسون: من مواليد مدينة موسكو سنة 1896، من عائلة يهودية روسية، يعد من أوائل اللسانيين في الدراسات التحليلية البنوية للنصوص والآثار الأدبية، توفي عام 1983.

2- هيام كريدية، الألسنة رواد وأعلام، الطبعة الأولى، 2010، بيروت عمان، ص 129.

3- ينظر، ابراهيم محمد خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص 22.

إلى نظرية معقدة بواسطة الأمريكي ويليان لابوفا الذي اتفق مع لفوبيها في النظر إلى البعد الاجتماعي بصورة جدية، وتم التوصل إلى تحطيم الفصل الصارم الذي أقامه سوسير بين التاريخية والوصفية.

عنون مؤسسو "مدرسة براغ" على منهجهم الخاص بالدراسة الصوتية اسم "الصوتيات الوظيفية" والذي هو فرع من اللسانيات الحديثة يتولى دراسة المعنى للنمط الصوتي ضمن نظام اللغة الشامل واستخراج كل الفونيمات وضبط خصائصها وتحديد كيفية توزيع أوفوناتها"¹.

¹ - أحمـن مومـن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثالثة، 2007، ص 137.

منهج الدراسة في هذه المدرسة:

سميت المدرسة الوظيفية انطلاقاً من تحديدها لمنهجها باعتبار اللغة نظاماً وظيفياً وعليه: "يتميز هذا المنهج بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية دراسة وظيفية محضة، وهذا ما جعله يختلف عن باقي المناهج اللسانية الأخرى، وسوف تتضح مناهج التحليل بصورة عملية، وعندما أتحدث فيما بعد عن أكبر أقطاب وأعلام هذه المدرسة.

وبشكل عام، فقد شملت نشاطات هذه المدرسة المجالات الآتية: صوتيات الوظيفية الآنية والصوتيات الوظيفية التاريخية، والتحليل الوظيفي والعروضي وتصنيف التضاد الفونولوجي، والأسلوبية اللسانية الوظيفية، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون.

وإذا كان دي سوسير قد ذهب إلى القول: "بأن اللغة نظام من العلامات، فإن مدرسة براغ ترى أن "اللغة نظام من الوظائف، وكل وظيفة نظام من العلامات"، وقد وضع ساميوسون نظرة أصحاب هذه المدرسة إلى اللغة بقوله: "إن اللغة عبارة عن محرك، وعلى اللسانيين أن يدركوا ما هي الأعمال التي تقوم بها المكونات المختلفة المحرك، وكيف أن طبيعة المكونات الأخرى..."¹

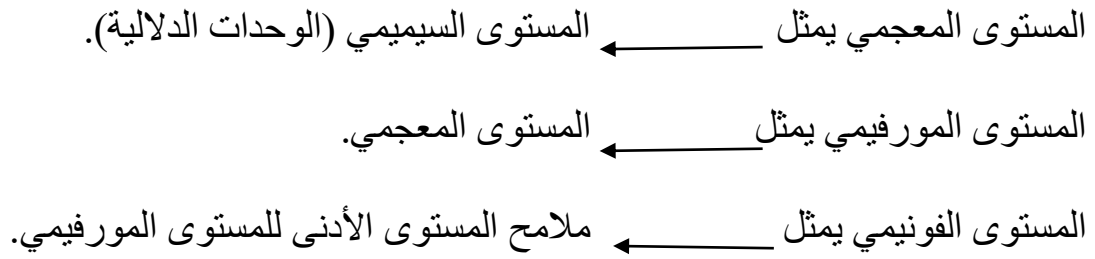
مدرسة براغ تتعلق بمهام مناهج الآني الوصفي والنتائج المترتبة عنه وبعلاقته بالمنهج الزمني التاريخي، لذا ترى مدرسة براغ: "أن الوسيلة الناجعة التي تمكننا من الإحاطة بجوهر اللغة، وبخصائصها تكمن في التحليل الآني الوصفي للظواهر اللغوية الحالية، لأن التحليل الوصفي وحده الذي يمثل مادة كاملة تتناسب الواقع اللغوي، ولا تعارض الدراسة اللغوية الآنية مع الدراسة اللغوية التاريخية لأن انحصار التعاقب يؤول إلى التحديد والآنية في المبدأ.

¹ - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

ورغم فضل دي سوسير على جماعة براغ فإنهم خالفوه في النظر إلى العلاقة بين
الدراستين اللغويتين: الأنية الوصفية والزمانية التاريخية لأن الحدود بينهم ما أقرب إلى
التجريد منها إلى الواقع اللغوي، ويدل واقع الدراستين على أنه المنهج الأني لا يتعارض مع
المنهج التاريخي والعكس صحيح، كذلك إذ يقوم المنهج التاريخي على مصلحة العينات الآتية
وواضح أن العينة الآتية أسبق هذه الدراسات التاريخية، وعلى العموم لا يتنافيان.¹

إضافة اعتماد المنهج المقارن في البحث اللساني: إذا استعمل كل القضايا المتعلقة
بالجانب التكويني للغات ومدى الصلات التي تربط بعضها ببعض، وقد أحت هذه المدرسة
على استعماله بكيفية أوسع بغية كشف القوانين التي تحكم بنية اللغة في أنساقها المختلفة
ومدى التطور الذي عرفته هذه الأنساق ومررت به في مراحلها.²

"نجد أن M.Lomb قد قدم نظرية القواعد الطبقاتية Startificational لتغطي في
التحليل الشكلي العام للغة تسلسليا وصوتيا، وهذا تمثل جانبا في نظرية براغ اللسانية. تقوم
هذه النظرية على أساس ترتيب المستويات بعضها البعض بطريقة هرمية:



وفيهما تختلف مستويات وتنشأبك نظم على مستوى التراكيب العليا (20)³

الصوتيات الوظيفية لمدرسة براغ:

لقد تميزت المدرسة الفينومية عن غيرها من المدارس اللسانية بمبدأها الواضح حول
وجهة النظر في صعوبة الفصل بين البنية اللغوية والسياق الذي تعمل فيه، والوظيفة التي
تؤديها تلك البنية في السياق.¹

¹ - ينظر، السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، دار السلام الحديثة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 2008، ص 75.

² - ينظر، نفس المرجع سبق ذكره، ص 76.

³ - عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 238.

وتعد مدرسة براغ Prugue school أفضل من يمثل هذا الاتجاه الوظيفي في دراسة اللغة، فأصبح هذا النادي يعرف بالمدرسة الفونيمية التي ترى أن البنية النحوية والدلالية والفونولوجية للغة تتحدد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع.

"وقد أطلق مؤسسو مدرسة براغ على منهجهم الخاص بالدراسة الصوتية اسم الصوتيات الوظيفية phonology فكان اهتمامهم الكبير بدراسة الأصوات يفوق أي اهتمام آخر، وكان لهم الفضل في التمييز بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي، فالأول Phonétique هو Phone الصوت اللغوي المفرد البسيط الذي يمكن أن يخضع للقياس، أي أن Phone وحدة صوتية لغوية صغيرة قابلة في ذاتها للقياس".²

بينما علم الأصوات الوظيفي Phonology وهو الذي يهتم بدراسة الصوت اللغوي داخل بنية الكلمة أو هو الذي يدرس الأصوات من حيث خصائصها الوظيفية بمعزل عن طبيعتها الفزيولوجية والفيزيائية.

وبهذا اعتمدت هذه المدرسة على الفونم Phoneme الذي هو محور دراسة الصوتيات الوظيفية بأنه فونولوجية مجردة، لأن ما ينطق به فعلا خلال الكلام هو "اللوين" الصوتي أو المتغير الصوتي allophone. واللوين الصوتي صوت كلامي حقيقي يتوزع بطريقة تكاملية، أو يتغير بشكل حر ومثال التوزيع الكلامي أن (p) الهائية في الإنجليزية تأتي عادة في أول الكلمات مثل pen وأن (p) غير الصائتة تأتي بعد (s) مثال spin.

وأما التغير الحر فعندما تأتي (P) في آخر الكلمة، حيث من الممكن أن تكون صائتة أو محبوسة كما في كلمة Tip.

فالصوت أو الفونيم إذن، هو أصغر وحدة صوتية تعيين صاحب اللغة على التفريق بين المعاني وهو نوعان: فونيم قطعي segmental ويشمل كل الصوامت والصوائت وفونيم فوققطعي supras gmental ويتمثل في كل من الفاصل juncture والنغم pitch، والنبرة .stress

¹ - ينظر، محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 70.

² - ينظر، أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

ومن المصطلحات المتداولة في هذه المدرسة مصطلح الفرق الوظيفي، وهو فرق بين صوتين ينجم عنه اختلاف في الدلالة، وذلك كالفرق بين (P) و(b) وفي اللغة الأوروبية مثلا، أما الفرق غير الوظيفي، فيتمثل في الفرق مثلا بين /ب/ و(ب) و (ق) و/ق/.¹ وفي بعض اللهجات العربية تنطق السين في (مسمار) صاد فيقولون (مصمار) دون أن يتغير المعنى فالصاد في مصمار هو ألفون للسين في (مسمار) وهذا لا يعني أن الصاد في (مصمار) لم تؤدي وظيفة دلالية، بل لم تؤدي وظيفة دلالية مغايرة لكلمة (مسمار).²

وقد كانت تنظر هذه المدرسة إلى أن الكلام ينتمي إلى الكلام Parole. والفونيم ينتمي إلى اللغة langue وذلك بمفاهيم نظرية دي سوسير فكان يقوم النظام الصوتي بلغة على فكرة التقابل والاختلاف بين الفينومات في سلسلة من الملامح المميزة distinctive features، باعتبار أن الفونيم نظام السمات أو الملامح التمييزية.

ومن خلال هذا كان التقدم الحقيقي للدراسة الفونولوجية بوجه عام قام رواد هذه المدرسة بتصنيف الأنظمة الفونولوجية بطرق مختلفة حسب السمات المميزة لفونيمات، ففي اللغة الإنجليزية فمثل هذه الفونيمات (g) و(k) و(d) و(t) و(b) و(p) تضادا opposition بين الصوت المهموس والصوت المجهور على مستوى مخارج الأصوات، فمثلا صوت (b) يختلف عن صوت (d) فالأول مهموس والثاني مجهور.³

"وكان الفعل للدراسة الفونيمية يعود إلى أعمال مدرسة براغ، فأصبح الفونيم أحد المقومات الأساسية في النظريات الألسنة عامة وللدراسة العلمية الوصفية والمنهجية ولمختلف الظواهر اللغوية خاصة."⁴

¹ - ينظر، أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137-138.
² - ينظر، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث لنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1465هـ 2005م، ص 71.
³ - ينظر، أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 138.
⁴ - هيام كريدية، الألسنة الفروع والمبادئ والمصطلحات، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، ص 41.

-المبادئ التي تقوم عليها مدرسة براغ:

تقوم هذه المدرسة على مبادئ جمّة وكثيرة أهمها:

(أ) **المبادئ الجمالية:** لعل الفيلسوف جان موكاروفسكي أهم من وضح المبادئ الجمالية للمدرسة والتي تتلخص فيما يلي:

1- الفن وطبيعة السيميولوجية: يدعو إلى ضرورة فهم علم الجمال البنيوي على أنه جزء من مذهب الرموز والعلامات السيمولوجيا، ويرى أن الأمر أصبح شاملا لما يسمى بشخصية الفنان والبيئة الداخلية للعمل الفني معاً، دون إهمال علاقة الفن بالمجتمع وقد نادى بضرورة دراسة الدلالة الرمزية للعلامة.

2- دور الفاعل في الفكر الوظيفي: يرى أن البنيوية الجمالية تخلصت من وهم الفاعل المستقل الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث.¹

3- خواص الوظيفة الجمالية وعلاقتها بالوظائف الأخرى: يرفض فلاسفة براغ بتبعية الفن للتطور الاجتماعي، رغم اعترافهم بالقوى الخارجية التي تمارس تأثيراً على الأبنية الاجتماعية لا يولد بالضرورة شكلاً معيناً من الإبداع الفني، وعليه يجب أن يوضع في الاعتبار قطاعان من الواقع، أولهما: واقع الرمز والعلامة وثانيهما: الواقع الذي يشير إليه هذان الرمز واتحادهما هو الذي يمثل الفن في مدرسة براغ، ولذا حرصوا على استقلالية الرمز.

4- مع أن الحلقة اشتهرت في ميدان اللسانيات بدراستها الصوتية الدقيقة إلا أنها اهتمت بلغة الشعر والأدب، ومن أهم مكاسبها دعوتها إلى تطوير فكرة تعدد الوظائف للوحدات البنيوية، وكما ركزت على العلاقات التجريدية النظرية وما يمكن تنفر عنه من علاقات فرضية.²

(ب) **المبادئ اللسانية: من أهم المبادئ اللسانية ما يلي:**

1- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 86.

2- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 87.

- 1- "تقوم اللسانيات البنيوية بصورة رئيسية على إشكالية الدلالة: الرمز بمصطلحية الدال والمدلول، وإن أي كلمة في اللغة هي رمز، واللغة تعمل بوصفها نظاما من الرموز".¹
- 2- تتصور أن البنيوية اللسانية كل شامل، تنظمه مستويات محددة.
- 3- تتصور المدرسة عملية التطور على أنها كسر لتوازن النظام القائم وإعادته مرة أخرى، فجاكوبسون يرى أن استغلال الفوارق الصوتية يؤدي إلى الوصول للقدرة التعبيرية للقول الانفعالي.
- 4- ترى أن العناصر اللسانية والعلاقات القائمة بينها متعايشة و مترابطة ولا يمكن فصلها.
- 5- دعت المدرسة إلى ضرورة بحث المعالم البنيوية لدلالات الكلمات المعجمية ورأت بأن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة وإنما هو نطاق تناسق في داخله هذه الكلمات وتتعارض فيما بينها، وبما أن هذه المدرسة تنظر للحروف الصوتية من حيث تأدية وظيفتها داخل التركيب، المعنى والوظيفة هما أساس اهتمام المدرسة الوظيفية".²

¹ - حنفي بناصر، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات، 2009، الجزائر، ص 52.

² - نعمان بوقرة، المدرس اللسانية المعاصرة، ص 87.

3. أقطاب مدرسة براغ:

نيكولاى تروبتزكوي حياته وأهم جهوده في مدرسة براغ:

1. حياته:

ينحدر تروبتزكوي 1890-1938م من أسرة أمراء في روسيا، كان أبوه أستاذ الفلسفة في جامعة موسكو، ثم رئيسها فيما بعد، درس في الثالثة عشرة من عمره خصائص الشعوب الفنلندية الأوغرافية Finno-ougrinne*.

وكان يحضر في سن الرابعة عشر جلسات جمعية علم الأجناس البشرية *société ethnographique* في موسكو والتي كان يرأسها ميلر Miller، هذا الأخير كان مشجعا لمحاولات تروبتزكوي الأولى، فنشر اثنين من أولى مقالاته وهو في سن الخامسة عشرة، وانغمس في سن السابعة عشر في دراسة اللغات السيبيرية القديمة، ولغات القوقاز الغربي، وقد اهتم بعلم السلالات وعلم الاجتماع، وفلسفة التاريخ، والتاريخ العام للحضارات، سافر في صيفي 1911 أو 1912 مع ميلر إلى القوقاز حيث درس اللغة الشركسية، ناقش أطروحته عام 1916 عن زمن المستقبل في اللغة الهندو-أوروبية، بعد أن قضى عاما في لايبزغ، يستمع فيه إلى محاضرات بروغمان Brugmann، وليسكس Leskien من النحويين الجدد كما درس فيها السنسكريتية، واللغة الأفتستية Avestique، وقد عهد إليه آنذاك بإلقاء محاضرات في السنسكريتية في جامعة موسكو.¹

"غادر موسكو بعد 1917م، إلى روستوف، ثم إلى استانبول، ثم إلى صوفيا بين عامي 1920م، و1922م، حيث شغل كرسي علم اللغة الهندوأوروبية، وقد أسند إليه أيضا عام 1921م رئاسة قسم الدراسات السلافية في جامعة فيينا، ثم أصبح بعد ذلك عضوا في حلقة براغ اللغوية (تبعد براغ عن فيينا مسافة 150 ميلا)، مكث تروبتزكوي في فيينا إلى أن

* - اللغة الفنلندية، الأعرية أو الاغرافية: مجموعة لغات يطلق عليها اسم اللغات الأورالية وهي منتشرة في شرقي أوروبا من فنلندا شمالا حتى المجر جنوبا، وتنتمي إلى العائلة الأورالية الألبية.
¹ - ينظر، هيام كريدية، الألسنة رواد وأعلام، ص 128.

طرده النازيون منها عام 1938م، بعد استجواب قوات الجستابوله، وإهانته وحجز أوراقه قبل عدة شهور من وفاته في المستشفى بذبحه صدرية، إذ كان من مناهضي النازية.¹

2. إسهاماته:

"برع تروبتسكوي في ميدان الصوتيات الوظيفية أو الفنولوجيا، وكانت له فيها إسهامات قيمة منها مؤلفة الشهير: مبادئ الفنولوجيا 1939م، والذي يحتوي على مناهج تحليل السمات القطعية وال فوققطعية...بحيث قام مذهبه اللغوي على أساس مفهوم الفونيم الذي سبق وأن تطرق إليه الباحثين: بودان Baudain، سويت Swet، ويسبرسن Jespersen قبل كل شيء مفهوم وظيفي، وهو كذلك "الوحدة الفونولوجية" التي لا تقبل التجزئ إلى وحدات فونولوجية أخرى أصغر منها في لغة معينة.²

كما يعد تروبتسكوي المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي، ويرى أن الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس، وانتهى إلى جملة من القواعد تتعلق هذا المفهوم منها:

1. إذا كان هناك صوتين من اللسان نفسه والإطار نفسه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل قال وقال فاختلف القاف والقاف لا يؤدي إلى تغيير المعنى.

2. إذا كان الصوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صورتان واقعتان لفونيمين مختلفين مثل حال وجال فالحاء، والجيم فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما.³ وهما قادران على تغيير الدلالة.

3. إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية ولا يظهران في الإطار نفسه، فهما تركيبان لفونيم واحدة مثل صوت النون في الحربية التي تنتقد صورها بتعدد صورها بتعدد الأصوات الموالية لها.

¹ - نفس المرجع، ص 129.

² - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 142.

³ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 92.

ويرى تروبتسكو أن الفونيم عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات وأشكالها، وأنماطها الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي غير غيره من الأصوات، ومنه فكل فهو فونيم يؤدي وظيفتين.

أ. وظيفة إيجابية: حينما على يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.
ب. وظيفة سلبية: حينما على يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى.

ومثال: ذلك فونيم النون (ن) يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة "تام"، لتحديد مدلولها، وهي الوظيفة الإيجابية، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة "نام" مختلفة عن الكلمات مثل قام، صام، حام.¹

مؤلفاته:

"جمعت مؤلفات تروبتسكوي في علم اللغة، في كتاب نشرته "جماعة براغ" منذ وفاته، سمي مبادئ الفونولوجيا صدرت بألمانيا عام 1999 بعنوان Grundzuges der Phonetik، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية المستشرق جان كانتينو J. Cantineau باسم Principes de Phonologie ونشر في باريس عام 1949، في مطبعة كلينيك، وأعيد طبعه عام 1957.²

¹ - ينظر، نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 92-93.

² - هيام كريدية، الألسنة رواد وأعلام، ص 132.

اميل بنيفيست حياته ودوره في المدرسة:

1. حياته

"ولد في حلب بسوريا بتاريخ 27 مايو 1902 لساني فرنسي، تميز في مجال القواعد النسبية للغات الهندوأوربية، وبرع في اللغويات العامة، أستاذ النحو المقارن منذ 1937، وأحد أهم مؤسسي التيار الوظيفي في اللسانيات البنوية الفرنسية.

يعد تلميذ أنطوان ميليه في المدارس العليا، التي درس فيها بعد تخرجه منذ عام 1927، ثم انتقل للتدريس في كولييج دو فرانس منذ عام 1937 بغرض للأسر سنة 1940، لكنه تمكن من الفرار ولجأ إلى سويسرا، وأقام فيها إلى سنة 1945.

من عام 1945 إلى عام 1959 شغل منصب نائب سكرتير "جمعية اللغويات" بباريس ما بين 1945 و 1959، حصل على عضوية في Accademia deilincei سنة 1965، وفي سنة 1961 أسس مع كلود ليفي ستروس و بيل غورو المجلة الفرنسية للأنثروبولوجيا المشهورة باسم C'homme، توفي سنة 1976 عن عمر ناهز 74 عاما".¹

2. التلفظ عند بنيفيست:

"إن عملية التلفظ حسب تعريف اميل بنيفيست هي: وضع اللغة في حركة يقتضي فعل فردي في الاستعمال، ولقد كان التلفظ خارج حقل دراسة اللسانيين منذ زمن طويل ثم بدأت العملية تحتل منزلة كبرى في بحوثهم، يعتبر بنيفيست اللغة أو اللسان تلفظا Enonciation ولقد انطلق بنيفيست من مدونة دو سوسير اللسان ليثبت أنه حتى في هذا المجال لا يمكن الفعل بين اللسان واستعمالاته حتى في مجال الأدلة المنفصلة Signes.

إن اللغة تتضمن عناصر يسميها بنيفيست الجهاز الشكلي للتلفظ، وهي تسمح لكل شخص بأن يأخذ الحديث في رتبة متكلم (أنا أصرح أن..) فلمن يرجع أنا؟ إلى كل متحدث ولهذا الأمر يقول (أنا) وإذا تكلم آخر يقول أيضا (أنا) ويتحول المتكلم الأول إلى (أنت) (أنت تقول الآن أنا).

¹ - اميل بنيفيست، 05: 18، 29 M 2023، htnl date 2904, Net/ 2904, <https://bilarabiya>

ويمكن القول: إن التلفظ أو الإعراب هو امتلاك للسان وتفعيل له من قبل ذات متحدثه، وامتلاك اللغة وتفعيلها ينتج ملفوظات Enoncés كل تلفظ له ظرف معين، مؤلف من متلفظ Enonciateur وشريك للمتلفظ Coinonciateur يمكن له في نفس السياق أن يصبح متلفظاً، وزمان ومكان ويعبر على ظرف التلفظ هذا بالصيغة التالية: أنا-أنت-هنا-الآن".

"أما الخطاب حسب بنيفيست فهو على النقيض من ذلك إنه يجد الملفوظ Enoncé في الحاضر باستعمال المضارع مع أحرفها من متكلم ومخاطب، غن المضارع يدل على الزمن الحاضر أو المستقبل، إن ظروف المكان والزمان وأسماء الإشارة والنداء، و بصيغة التعجب هي مثيرات فعلية لها علاقة بظرف الخطاب ومنه تستقي مدلولاتها.

ويرى بنيفيست أن الملفوظ نتيجة للتلفظ، فالتلفظ إجراء أما الملفوظ فهو نتاج لهذا الإجراء، أي أن الملفوظ ما هو إلا مجموعة الوحدات اللغوية التي نتجت عن فعل التلفظ، وقد تكون نصاً أو جملة أو حتى كلمة، ويؤكد بنيفيست أن الملفوظ ليس يعادل مفهوم "الجملة" لأن الجملة مرتبطة بلسانيات اللغة، وهي مفهوم معزول عن السياق عكس مفهوم الملفوظ الذي يرتبط.

يختم بنيفيست حديثه عن المفهومين السياقيين بتفصيله التلفظ على الملفوظ في الدراسة، فيعتبر أن التلفظ من حيث هو فعل أحق بالبحث إذ يقول موضوعنا هو فعل الإنتاج نفسه وليس النص الملفوظ".

فالدراسة اللغوية عنده يجب أن تتجه إلى الفعل الإنتاجي وليس ما نتج عنه، وفي هذا الاتجاه يرى أن فعل التلفظ يمكن دراسته على مستويات كثيرة الصوتية منها أو آليات هذا العمل الفعل أو جانبه الصوري".¹

3. مؤلفاته:

- مشاكل في الغويات العامة (1) 1966 باريس، غاليمارد.
- مشاكل في اللغويات العامة (2) 1974 باريس، غاليمارد.

¹ - التعريف باللساني إميل بنيفيست 25: 21, 31-03-2023. Blogspot. Com. <https://amazighes>.

- مفردات المؤسسات الهندية الأوروبية 1 و 2 1969 باريس منتصف الليل.
- الدين الفارسي، وفقا للنصوص اليونانية الرئيسية، 1974 باريس جيوتثر.

المحاضرة الرابعة: مدرسة كوبنهاغن

تمهيد:

اللغة إحدى أهم الظواهر الإنسانية التي لفتت أنظار الإنسان نفسه منذ أن كانت أصواتا يتواصل بها مع أبناء جنسه إلى أن غدت بنية متكاملة، ففي النصف الثاني من القرن العشرين عرفت اللسانيات انتشارا واسعا في دراسة المفاهيم اللغوية في المحافل العلمية في كل دول العالم تقريبا، ثم كانت محط اهتمام الفلسفة واللغويين يجهدون في تفسير اللغة ودراسة بنيتها ووظيفتها فكانت المناهج التي توسلت بها اللسانيات متعددة نحو اللسانيات المقارنة واللسانيات التاريخية والمنهج التقابلي والمنهج الوصفي، ثم أردف بذلك بدراسة التيارات والمدارس اللسانية ومنها مدرسة كوبنهاغن الدنماركية النسقية على يد المؤسس هيلمسف باعتماده على المنهج العلمي الرياضي بدراسة اللغة.

1- نشأة المدرسة:

أسس المدرسة اللغوية الدنماركية عام 1934م اللسانيات غيكو برونالد (1887م-1944) ولويس هيلمسف الذي ألف كتابه المسمى *preleg omenena ta a thearg of language*، ثم ترجم إلى الإنجليزية عام 1951، ويسر منهج البحث في دراسة اللغة عند أصحاب المدرسة الدنماركية على نهج البنوية بصفة عامة¹ ظهرت مدرسة كوبنهاغن في مطلع القرن العشرين تأثرت بالمفاهيم الجديدة التي جاء بها حي سويسرا، رأى بعضهم بأنها لا تمثل مدرسة بالمعنى الكامل للكلمة بل مجرد نظرية لسانية، وعدها بعضهم لآخر مدرسة كوبنهاغية أو مدرسة دنماركية لان المؤسسن الأوائل كانوا دنماركيين، حاول أصحاب هذه المدرسة التجديد في طريقة دراسة اللغة ولإعراض عن الأساليب واعتماد الدراسة العلمية، وقد وظفوا في بحثهم اللساني المصطلحات الغربية وصاغوا العناصر اللغوية في شكل رموز ذات سعة رياضية واستعملوا التراكيب اللغوية في شكل معادلات رياضية الأمر الذي ترتب عليه رد فعل قوي من اللسانيين والمفكرين والفلاسفة² مؤسسي هذه المدرسة الدانماركي لويس هلمسليف (ت1965م) صاحب النظرية البنوية التحليلية (الرياضيات اللغوية) تتلمذ في باريس على الساني: مايي وشارك في النادي اللساني بكوبنهاغن سنة 1931م، المؤسس

¹ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الأديبن د ج، د ط، د ت، القاهرة (د ت)، ص 116.

² - السعيد شتوق، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث (2008) د ج، ط1، (2008)، جمهورية مصر العربية (2008)، ص 78.

جاسبر سن (ت 1942م)، بدرس، ويمكن القول كان تبلور هذه المدرسة حين أسس يلمسف مع صديقه "بروندال، بلدال"¹ الحلقة الدنماركية للعلوم اللسانية عام 1931 على غرار حلقة براغ وقد نشر لسانيو هذه المدرسة اللسانية باللغات الانجليزية، الفرنسية، الألمانية، لقد كانت مدرسة كوبنهاغن امتداد لمدرسة "براغ" والاتجاه البنيوي الذي بدأته حلقة براغ تأكيدا لفكرة دي سويسر في إعطاء النظام أو النسق المرتبة الأولى على العناصر وعلى ذلك قال يلمسف: لا يكفي القول أن الوحدة اللغوية لا تعرف إلا بغيرها من الوحدات أو العناصر بل يجب القول: إنها مكونة من مجموع علاقتها بباقي الوحدات أو العناصر².

ظهرت في كل من موسكو وبراغ حلقة لغوية ظهرت في كوبنهاغن العاصمة الدنماركية مدرسة لغوية أخرى وقد أعلنت هذه المدرسة عن نفسها في مؤتمر لغوي عقد في عام 1935م وقد تصدر هذه الحلقة اللغويان: لويس هيلمسف (1899-1965) وهاتر أوبدال، اللذان اتخذا من الكلمة الإغريقية *glose* ومعناها العلاقة مصطلحا يحدده اتجاه هذه المدرسة³

يرى أتباع هذه المدرسة أن اللغة ليست مادة وإنما هي شكل⁴ إن الحديث عن المدرسة النسقية في مجال اللسانيات يمر حتما عبر نشاط ومجهودات العلامة اللساني يلمسف الذي استطاع أن يطور هذه المدرسة بمبادئ معرفية ومنهجية.

2- مبادئ مدرسة كوبنهاغن:

يتشكل أسس نظريته اللغوية الذي يرتكز إلى:

أ- الكُمون: ومعناه تحليل اللغة اتكاءا على السمات الداخلية، تلك السمات التي تجعل من اللغة (بنية مغلقة)، وبذلك يكون درس اللغة وفقا لذلك درسا لذات اللغة، وليس بالنظر إلى انها وسيلة تواصلية، وهو درس يضرب بالاختبارات التاريخية والاجتماعية والنفسية عرض الحائط.

ب- الوقوف على الخصائص المشتركة للغات عامة

ج- دراسة اللغة للغة لأجل ذاتها، وهو الاتجاه الذي عرف به هيلمسف وأطلق عليه مصطلح الغلوسيماتيك أي النظرية اللغوية التي هدفها دراسة اللغة ذاتها¹.

¹ - المرجع السابق، ص 79.

² - المرجع السابق، ص 82.

³ - محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة (د ت) د ج، ط1، (2007م-1427هـ) ط2 (2009م-1430هـ)، عمان، (د ت) ص 25.

⁴ - ينظر إلى إبراهيم عطية، أحمد عزوز، قراءة في كتاب المدارس اللسانية، ص 114.

د- الاعتماد في استنباط خصائص اللغة على ثوابت في ذات اللغة لا على ما هو خارج اللغة وبهذا تكون نظريته مخالفة للنظريات اللسانية السابقة.

كان هيملسف ينطلق من معالجة سوسور العلامة اللغوية بالنظر إليها على أنها حركية من دال ومدلول، ويعمل على تطوير مقولات سويسر، ولا سيما في نظريته إلى اللغة باعتبارها فكرياً منظماً يصب في مبنى صوتي، وباعتبار اللغة شكلاً لا مادة، فعجل هيملسف على نقل هذين المفهومين إلى مفهومي (المضمون والشكل) فالمضمون (وحدات بنية المعنى) والشكل (مستوى التعبير للفونيات) ولكل من مستوى الدال والمدلول مادة وشكل، فالتعبير له مادته الصوتية التي يتموضع عليها وينبثق عنها، وكذلك المضمون مستويات (شكل ومادة)² بناها على مقدمان منطقية ومبادئ معرفية تفسيرية:

- أولها: مبدأ التجربة معتمداً على الملاحظة والتجريب والجمع بين ثلاثة معايير: (اللاتناقضي والشمولية والتبسيط)

ثانيهما: مبدأ الإحكام والملائمة التي تخضع نظريته الاتساق والنتائج الطبيعية المتلائمة مع مقدماتها البديهية المنطقية وبذلك تكون ناجحة ونجاعتها متوقعة على مدى خضوع مقدماتها شروط التطبيق في إطار المعطيات التجريبية، وهو ترك مؤلفات منها: "مقدمة في النظر اللغوية"، "مقدمة في اللغة"، "محاولات لسانية".

وهو يرى خمس سمات أساسية تقوم عليها البنية الأساسية لكل جملة كما يلي:

- المضمون والتعبير

- تتألف اللغة من النتائج أي نص ونظام

- يتصل المضمون بالتعبير اتصالاً وثيقاً أثناء عملية الاتصال

- توجد علاقات محددة ضمن النتائج والنظام

- لا يوجد تطابق كلي المضمون والتعبير³.

وعلى العموم إن المبدأ الأساسي للغة عند دي سويسر هو: عد اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الوحيد للسانيات هذا المبدأ أصبح عند يلمسف في إصلاح يطلق عليه "المعاينة"

¹- ونيد محمد السراقي، الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، مكتبة ودار المخطوطات العنبة العباسية المقدسة، دج، ط1.

²- المرجع السابق، نفس الصفحة 135.

³- السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الأزهرية للتراث (2008)، دج، ط1، (2008)، جمهورية مصر العربية، (2008)، ص 79.

liamanance أي عكس التسامي tranxendence ونقيضه و عوض ثنائية الدال والمدلول
بثنائية أخرى.

وبان اللغة تتكون من هذين المستويين تجمع بينهما علاقة وهذه العلاقة هي الملائمة اللغوية
Signe linguistique وكل مستوى يخضع إلى ثنائية أخرى هي ثنائية الشكل والمادة ونتج
عن هذا التعليق أربع طبقات:

أ- مادة المحتوى (وهي الأفكار)

ب- شكل المحتوى (وهي البنية التركيبية والمعجمية)

ج- شكل التعبير (الفونولوجية: الصوتيات التطبيقية)

د- مادة التعبير (علم الأصوات: الفونيك¹ la phonétique)

تمهيد: قبل (مصطلح غلوسيماتيك): تبينت هذه المدرسة أهم مبادئ دي سويسر وأعدت
صياغتها على أسس منطقية تجريدية، ومن أهم إسهامات يلمسف في إطار هذه المدرسة أنه
أنشأ نظرية بنيوية كان لها تأثير عميق في الفكر اللساني الأوروبي وتسمى بالنظرية
الغلوسيماتكية.

3- مصطلح غلوسيماتيك:

تعرف يلمسف أفكار دي سويسر ومناهجه وهذه اما ساعده على بلورة نظرية العالمية
الجديدة التي تعرف: الغلوسيماتيك: وهي نظرية تتجنب البحث اللساني المتأثر بالفلسفة
والأنثروبولوجيا واللسانيات المقارنة، لذلك فإن نظرية الغلوسيماتيك تهدف إلى إقامة لسانيات
علمية مبنية على أساس رياضي منطقي وكلي في وصف الظواهر اللغوية وتحليلها
وتفسيرها تفسيراً موضوعياً وقد قال يلمسف في هذا السياق: إنها تهدف إلى إرساء منهج
إجرائي ويمكن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل إنها ليست نظرية
بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية والتعريفات
والنظريات المحكمة التي تكمن من إحصاء كل إمكانيات التأليف بين عناصر البحث الثابتة.
فمصطلح غلوسيماتيك "glossematics" مشتق من كلمة الإغريقية glosséses الوحدات
اللغوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة وتنقسم بدورها إلى قسمين².

1- وحدات التعبير وتدعى سوام les cenemes

¹ - السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 82.
² - السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الأزهرية للتراث (2008)، دج، ط1، (2008)، جمهورية مصر العربية، (2008)، ص 80.

2- وحدات المتوى وتدعى مضامين les pleremes

فالوحدات ذات المحتوى مثل (سورفيما) في مدرسة براغ maephénes أو (الفاظم) manémes في مدرسة جنيف: أصبحت كلها تدعى مضامين أو مكونات دلالية (pbernes) وقد ظهر عام 1935م مصطلح غلوسيماتيك الذي استبدل عام 1936م بمصطلح سوانماتيك مصطلح التعلق camélations للدلالة على العلاقات الاستبدالية ومصطلح علاقات relation دلالة على العلاقات الركنية الأفقية، ومصطلح وظيفة الدلالة على العلاقة الأفقية بين أي مفردتين، فمفهوم الوظيفة يدل على كل علاقة غير مادية ومجردة وشكلية وقد استعمل يلمسف في إطار هذا المصطلحات.

والأهم في هذه النظرية ليس الأصوات والحروف والمعاني في ذاتها بأن علاقتها المتبادلة في إطار السلسلة الكلامية والنماذج النحوية.

ولا يخفى بأن هذه النظرية (الغلوسيماتيك) قد اهتمت بالمصطلحات اللسانية وبحثها بحثاً دقيقاً وهموماً يبدو من خلال بعض الكتب التي ألفها يلمسف حين ذكر تعريفات لهذه المصطلحات في آخر كتابه: الرياضيات اللغوية "glossemic" وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن النظرية المذكورة لاقت شهرة سيئة نتيجة المصطلحات المعتمدة فيها والتي تتميز بالصعوبة والغموض¹.

يعد يلمسف المنهج الغلوسيماتي المنهج الواحد لتحليل العبارات المكتوبة والمنطوقة وذلك أهم شيء في اللغة كما يرى هو بنيتها الشكلية التي تنتظم في نسيج من العلاقات التي تربط عناصرها ببعضها البعض وليست المادة التي تتكون من هذه العناصر يبدأ المنهج الغلوسيماتي دائماً بالوحدات الكبرى ثم الصغرى فالأصغر منها... الخ وهو منهج يتناول النص المكتوب أو المنطوق ويقوم بتحليله تدريجياً إلى: فصول وجمل ومفردات وغلوسيمات الوحدات النحوية الصغرى، وحروف وأصوات والهدف من المنهج المذكور الوصول إلى إرساء قواعد كلية خاصة باللغة عموماً تعتمد في التطبيق على صياغة الفرضيات الموضوعية وعلى الحقائق أو القوانين التجريبية.

ولهذه النظرية مأخذ ذكرناها قل: كالغرابة في المصطلحات المنارة، واعتماد القوانين الجبرية والرياضية في شكله التحليل اللغوي الوصفي، وهذه السمة جعلت البعض يرى بأن إقحام الجبر في درس اللساني يمثل جانب الضعف اللغوي في هذه النظرية الغلوسيمائية.

¹ - السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 81.

ولكن ذلك لم يمنع هذه النظرية من جمعها بين التحليل اللغوي التقليدي ومظاهر الدرس اللساني الحديث بالفهم عن مبالغتها في اعتماد المصطلحات الجبرية والرياضية، وهي لا تزال حتى لأن تتمتع بمكانة عالمية يدل على ذلك بروز اللسانيات الرياضية أخيراً في أكثر من مبحث ودراسة¹.

إن مصطلح غلوسيم مأخوذ من اليونانية ويعني اللسان أو اللغة أو الكلام أما عنده فهو أصغر الوحدات اللسانية، إنه عبارة عن العلاقة الفونولوجية أو ما يسمى كينهم (keneme) في الجانب التعبيري، وبمجموعهما pbereme في الجانب الدلالي هو الغلوسيم النظرية إلى تطبيق نتائج المنطق الشكلي والمنهج العلمي².

لقد وجدت النظرية الغلوسماتكية نفسها مضطرة بسبب احتضانها الأسس النظرية العلمية التي توجد في التجريبية المنطقية إلى الوصول إلى نتيجة: هي أنه على الرغم من الشكلية الواضحة فإن النظرية لا تضع اللغة شكلاً وتركيباً سابقاً الوجود على الإنسان الناطق حيث تناولها حقيقة معطاة³.

والجلوسيماتيكس glosematics هو نمط من التحليل اللغوي "شبه الجبري" ارتبط باسم اللغة الدانماركي لويس ميلسيف، فمثل كثير من علماء اللغة الدوسو سيرين رفض هيملسف النظر اللغة بوصفها مزيجاً من الوقائع الفيولوجية (علم اللغة التاريخي) وأكد على أنها نسق مكثف بذاته، ومن ثم يعد علم اللغة ذاتياً مستقلاً عن غيره من العلوم الأخرى، لديه أدواته المنهجية والاصطلاحية الخاصة ومن هنا رأى هيملسف أن مهمة عالم اللغة تنحصر في تحليل تعبيرات النصوص في ضوء العلاقات الاستبدالية والتركييبية القائمة بين العناصر المكونة للنصوص سواء في إطار الشكل أي العلاقات النحوية الداخلية والماهيات أو في إطار التغيير (أي الوسط الكلامي أو الكتابي) أو في إطار المحتوى (أي الدلالة والمعنى) وقد كان الهدف من هذا الإجراء التحليلي شبه الجبري للغة تقديم الوحدة اللغوية الأساسية الثابتة وهي الجلوسيم وتعني "وظيفة"⁴.

1- السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 84.

2- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دج، دط، دت، القاهرة (دت)، ص 122.

3- المرجع السابق، ص 123.

4- ينظر جوناثان تاج، محمود عبد الغني، م، محمود فهمي حجازي، فردينان دو سوسير تأصيل علم اللغة الحديث وعلم لعلاجات، المجلس الأعلى للثقافة (دج)، (دط)، المجلس الأعلى للثقافة 2000، ص 95.

الجلوسيماتيك: مشتق من الكلمة اليونانية glosa بمعنى كلمة أو لغة ومتكاملة gloscarg بمعنى قائمة مفردات ويترجمها بعض الدارسين بالعربية باسم "التعليق"¹.

3- نشأة هيلمسلف:

باحث لساني دنماركي ولد سنة 1899م بكوبنهاغن وتوفي سنة 1965م، وهو أحد مؤسسي حلقة كوبنهاغن سنة 1930م، حيث يعتبر من أهم منشطيه، ولقد تناولت أبحاثه اللسانية الأولى صوتيات اللغة الليتوانية، وسار في الخط الذي رسمه دي سويسر متعمقا في بعض المفاهيم التي أتى بها في الأخير فتواصل حينها إي وضع النظرية اللسانية النسقية أو ما تسمى بالشكلية التي تعتبر محاولة لصياغة البنيات اللسانية بدقة متناهية.

من أشهر مؤلفاته: معلومات تمهيدية حول نظرية اللغة²، صاحب النظرية البنيوية التحليلية (الرياضيات اللغوية) تتلمذ في باريس على اللساني: "(ماي meillet)" وشارك في النادي اللساني بكوبنهاغن سنة 1931م، وقد حرص على وضع نظرية بنوية علمية وصفية شمولية للظاهرة اللغوية بناها على مقدمات منطقية ومبادئ معرفية وتفسيرية³، درس اللسانيات المقارنة على يد "هولغر بيدرسن" فكان أحد علماء اللغويات المقارنة ومريدي مدرسة النحاة المقارنين⁴.

ينتمي إلى أسرة لها باع في العلم فقد كان والده مدير لجامعة كوبنهاغن، وانصرف في بداية مشواره اللساني إلى اكتشاف اللساني المقاربي رايسموس راسك الذي اهتم بدراسة نحو اللغات البلطيقية، ويعد الدارسون يلمسلف أبرز لغوي أفاد من المناهج الرياضية والمنطقية في دراسة اللغة دراسة شكلية مجردة من مؤلفاته المهمة كتاب البروليفومينا، توفي عام 1965م⁵، حرس الفترة الجامعية في كوبنهاغن ثم سافر للدراسة وطلب العلم في براغ عام 1923م، ثم انتقل إلى باريس واتصل فيها الباحث مايي وفندرايس واستفاد من محاضرتهم في البحث اللغوي وتعرف على أفكار دي سويسر ومناهجه وهذا ما ساعده على بلورة نظرية

1- السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث (2008) دجن ط1، (2008) جمهورية مصر العربية (2008)، ص 80.

2- حفي ناهر، مختار لزرع، اللسانيات منطلقتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية د ج، دط، بن عكنون، الجزائر (د ت) ص 54.

3- السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث (2008) د ج، ط1 (2008)، جمهورية مصر العربية (2008)، ص 79.

4- وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، مكتبة ودار المخطوطات، العتبة العباسية المقدسة، د ج، ط1، (د ت)، بيروت، لبنان، (2019م-1440هـ)، ص 133.

5- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، د ج، دط، ميدان الأوبرا، القاهرة (د ج)، ص 116.

العالمية التي تعرف: الغلوسيماتيك: وهي نظرية تتجنب البحث اللساني المتأثر بالفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيات المقارنة¹.

المحاضرة الخامسة : المدرسة الوظيفية الفرنسية

ماهية المدرسة الوظيفية:

ظهرت المدرسة الوظيفية الفرنسية على يد العالم اللغوي الفرنسي أندري مارتينييه، وهي من المدارس التي اقتفت أثر "سوسير" في إبراز أهمية الوظيفة الإبلغية للغة.

1- تعريفها:

نشأت في تشيكوسلوفاكيا بعد عشر سنوات من ظهور أفكار دي سوسير المنشورة في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، مدرسة لغوية عرفت باسم مدرسة براق، وكان وراء ظهورها الأمير الروسي المهاجر "نيكولاي تروبتسكوي" Nicolai « Trubtzkyoy واللساني البولندي الأصل "رومان جاكسون" Roman² »

¹ - السعيد شنوكة، مدخل إلى اللسانيات المدارس اللسانية، ص 80.

² - عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002، ص235.

« Jackobson، إضافة إلى العالم التشيكي "فيلام ماثيسوس" « Vilem Mathesius »
1926، بعدها أصبح هذا النادي يعرف باسم نادي براغ أو المدرسة الوظيفية، التي لم تحدد
منهجها إلا بالانطلاق من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يرمي إلى تمكين الإنسان من
التعبير والتواصل¹.

وقد اعتمدت مدرسة براغ هذا المنطلق لتدريس خاصة الأصوات وتضبط منهجها للتمييز
بين ما هو وظيفي وما ليس وظيفيا، وهذه المدرسة الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع
مدرسة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق أندريه
مارتينييه خاصة وهو يرى أساس اللغة منقسمة إلى قسمين: وحدات حاملة معنى (المونيمات)
ووحدات فارقة (الفونيمات)²؛ أي أنه يعتبر أن دراسة اللغة هي البحث عن الوظائف التي
تؤديها في المجتمع أثناء تواصل أفرادها.

2- خصائصها:

تتميز هذه المدرسة الوظيفية عن غيرها من المدارس اللغوية باعتقادها أن البنى الصوتية
والقواعدية والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تستعمل فيها.

— البنى اللغوية ينبغي أن تدرس في حد ذاتها بغض النظر عن العناصر الخارجة عن اللغة
بوصفها نظاما مجردا ومستقلا وصعوبة الفصل بين البنية اللغوية والسياق الذي تعمل فيه،
والوظيفة التي تؤديها تلك البنية في السياق³.

كما تميزت بمنهج يختص بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة النحوية والصوتية
والصرفية والدلالية دراسة وظيفية محضة، وهذا ما جعلها تختلف عن باقي المدارس اللسانية
الأخرى، فقد شملت نشاطات هذه المدرسة المجالات التالية:

الصوتيات الوظيفية الآنية والصوتيات الوظيفية التاريخية، والأسلوبية اللسانية الوظيفية
ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع، وإذا كان دي سوسير قال: "بأن
اللغة نظام من العلامات فإن مدرسة براغ ترى أن اللغة نظام من الوظائف، وكل وظيفة نظام

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص137.
² - ينظر، شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004،
ص16.
³ - ينظر: محمد يونس علي، مدخل على اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2004، ص70.

من العلامات"؛¹ فاللغة عندهم هي المحرك وهي المنطلق، أي أنها نسق رمزي يؤدي مجموعة من الوظائف، أهمها التواصل.

3— مبادئها:

— تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا، لذلك ركزت على دراسة هذه الوظيفة الحقيقية للغة، والمتمثلة في الاتصال (كيف يتم؟ ولمن يوجه؟ وفي أي مناسبة؟) لأن اللغة في المقام الأول نظام للاتصال والتعبير من أجل الرقي والتفاهم المشترك.

— اللغة ظاهرة طبيعية فعلية ذات واقع مادي، يتوصل بعوامل خارجة عنها في البنية الاجتماعية، بعضها يتصل بالسامع، وبعضها يتصل بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام، ومن ثم فإن من الضروري أن نفرق بين لغة الثقافة بصفة عامة وبين لغة الأعمال الأدبية، وبين لغة المجالات العلمية، ولغة الصحف اليومية، وبين لغة الشارع ولغة المكتب.

— تتصل اللغة بكثير من المظاهر العقلية والنفسية للشخصية الإنسانية، ومن ثم فإن البحث اللغوي ينبغي أن يدرس العلاقة بين البنية اللغوية والأفكار والعواطف التي توصلها هذه البنية².

— تختلف اللغة المنطوقة عن اللغة المكتوبة، وهما ليستا متطابقتين، فلكل واحدة منها خصائصها المميزة، ومن ثم فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.

— استثمار مفاهيم "سوسير" في الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي، مثل التقابل، النظام، العلاقات التركيبية والاستبدالية، ثنائية اللغة والكلام وغيرهم.

— الدراسة الوصفية للغة ينبغي أن تكون هدف علماء اللغة الأول، لأنها تملك تأثيرها المباشر على الواقع اللغوي الفعلي، وهي أفضل طريقة لمعرفة جوهر اللغة وخواصها المميزة، لكن هذا لا يعني استبعاد الدراسة التاريخية من البحث اللغوي، إنما ينبغي أن تكون هذه الدراسة في ضوء الوصفية دائما، حيث ينبغي الأخذ في الاعتبار تصور اللغة كنظام وظيفي يهدف إلى تحقيق التواصل عند دراسة حالات لغوية ماضية، فهذه الدراسة لا ينبغي

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 136 - 137.

² - ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د.ط، 2006، ص 101.

أن تهمل فكرتي النظام والوظيفة، كما أن الوصف لا يمكن أن يهمل فكرة التطور، ومن هنا لا يمكن الفصل بين الدراستين¹.

- رائد المدرسة الوظيفية:

يعد أندريه مارتينييه من أهم علماء اللسان في القرن العشرين، كما يعد امتداداً طبيعياً لـ "تروبتسكوي"، إذ اعتمد في دراسته للأصوات الوظيفية على أفكار هذا اللساني وعلى مبادئ مدرسة براغ بصفة عامة.

1— نبذة عنه:

ولد أندريه مارتينييه سنة 1908 في سان ألبان دي فيلاز بمنطقة السافو الفرنسية، درس في السوربون، ثم في برلين، شغل منصب أستاذ في كلية الدراسات العليا في باريس، وانتقل إلى كولومبيا في نيويورك ليشغل منصب أستاذ اللسانيات العامة، ورئيس قسم اللغويات سنة 1947، وعاد في 1955 إلى المعهد الذي كان يدرس فيه في باريس، كما كان عضواً في الأكاديمية الدانماركية والفرنسية، وفي سنة 1984 شغل منصب مدير المجلة اللسانية النيويوركية "الكلمة"، ومهما يكن فإن مارتينييه قد تأثر بشكل كبير بالتفكير البراغي — الحلقة اللسانية لبراغ CLP — في مرحلة مبكرة جداً على الرغم من أنه لم يعيش في براغ².

إن تطوره الفكري الذي سرعان ما اتخذ بعداً عالمياً، يعود إلى حد كبير لعلائق الصداقة، بل للاهتمامات العلمية التي ربطته بكل من هيلمسليف، تروبتسكوي، جاكوبسون، وغيرهم، يفضل أندريه مارتينييه النظرة الوظيفية والدينامية لوقائع اللغة الإنسانية وألسنتها المتحققة على ما سواها، توفي عام 1993³.

2— مؤلفاته:

ألف مارتينييه حوالي 270 مؤلفاً يتعلق العديد منها باللسانيات العامة، واللسانيات الوصفية، والفونولوجيا الوظيفية، والفونولوجيا التاريخية، ومن أشهر هذه المؤلفات:

¹— ينظر: المرجع نفسه، ص102.

²— أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار الرضوان، وهران، ط2، ص151.

³— أندريه مارتينييه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت — لبنان، ط1، 1996، ص302.

— التصنيف الصامتى ذو الأصل التعبيري في اللغات الجرمانية.

— نطق الفرنسية المعاصرة.

— الفونولوجيا كنوع من الصوتيات الوظيفية.

— نظرة وظيفية للغة.

— مبادئ اللسانيات العامة.

— وظيفة الألسن وديناميتها.

— اقتصاد التغيرات الصوتية¹.

3— الوظيفة عند مارتيني:

يعد أندريه مارتيني أحد أبرز مؤسسي اللسانيات البنوية الأوروبية، وخاصة ما تعلق بالجانب التركيبي للغة؛ أي مستوى التركيب في الجمل، وفي هذا يظهر تأثره بلغويي مدرسة براغ الذين كانوا ينحون منحى وظيفيا في دراسة الجملة، وذلك بما أسموه الوجهة الوظيفية للجملة²، كون "النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع حلقة براغ، فقد توصل بناؤها وصقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق أندريه مارتيني خاصة في مؤلفاته: مبادئ في اللسانيات العامة 1960، واللسانيات الآنية 1970، واللغة والوظيفية 1970"³. ويعترف مارتيني باتفاقه مع مدرسة براغ في كثير من الآراء وبانتمائه إليها، حيث يقول: "وأحبّ أن أقول أنني عندما قرأت عن مدرسة براغ شعرت أنني متفق معها في الكثير من النقاط وقد كان هذا في الثلاثينات ... فأحبّ أن أقول أنني من مدرسة براغ اللسانية ولكنني في الوقت نفسه أختلف معها حول بعض القضايا اللسانية، كما يقرّ بمساهمة الكثير من البحوث العربية في بناء اللسانيات الحديثة وبعثها"⁴.

¹— أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، رجع سابق، ص152 - 153.

²— ينظر: مسعود صحراوي، "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، مرجع سابق، ص19.

³— عبد القادر المهيري، اللسانيات الوظيفية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص41.

⁴— مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، سوريا، د.ط، 1989، ص288.

وقد كان من بين إسهامات "مارتينية" في هذا المذهب اللساني الكبير مفاهيمه ونظرياته التي أسس بها اللسانيات الوظيفية على المستوى التركيبي للغة، وينظر إلى اللغة ككل على أنها ظاهرة تبليغية، إذ الوظيفة الأساسية للغة من بين عديد الوظائف هي التبليغ، إذ بالتبليغ يسمح الإنسان لنفسه بأن يتواصل مع الأفراد في المجتمع، يقول "مارتينية": "فالإشارة إلى اللسان بكونه أداة أو وسيلة يجلب بشكل مفيد جدا الانتباه إلى ما يميز اللغة عن كثير من الأنظمة الأخرى فالوظيفة الأساسية لهذه الأداة هي التبليغ، فالعربية مثلا هي قبل كل شيء الوسيلة التي تمكن أهل اللسان العربي من أن تكون لهم علاقات فيما بينهم، سنرى أن أي لسان يتغير بمرور الزمن، وهذا الأمر يحصل أساسا استجابة لحاجيات التبليغ في المجتمع الذي يستعمل اللسان ويتم ذلك بالوجه الاقتصادي الأمثل" و"مارتينية" إذ يفعل ذلك فإنه لا ينسى عدد الوظائف الثانوية الأخرى للغة كتعبير عن الفكر ووظيفة التعبير عن المشاعر دون التبليغ للآخرين، والوظيفة الجمالية...².

3- نظرياته:

أ — وظيفة اللغة:

يعد مارتينية الوظيفة التواصلية الأساسية للغة في المجتمع اللغوي، وهذه الوظيفة تؤديها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية، رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي على آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقية الوظائف التي تؤديها اللغة، بل يقرّ بها ويعتبرها ثانوية، كما يرى أن اللغة ليست نسخا للأشياء ونقلها آليا لها، بل هي بنى منظمة ومتراصة ومتكاملة يتطلع المتكلم يتطلع المتكلم من خلالها على عالم الأشياء والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية فتعلم لغة أجنبية مثلا، لا يعني وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة، وإنما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة بالتعرف على بُنى لغوية تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللغة الأم³؛ هذا يعني أن اللغة عنده أداة تسهل عملية التواصل الإنساني.

ب — التقطيع المزدوج:

¹ - الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية - دراسة تحليلية إبستيمولوجية - دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001، ص109.

² - أندريه مارتينية، مبادئ اللسانيات العامة، تر: سعدي زوبير، دار الأفاق، الأبيار، الجزائر، ص14 - 15.

³ - بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص104.

إن اللغات البشرية تتكون من مفاصل، أو بعبارة أخرى يمكن تقطيعها وهذا ما تختص به كل الألسنة، ويعتبر التقطيع المزدوج أساس نظرية "مارتيني" الذي يرى أنّ اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية لكونه مزدوج التقطيع؛ فالتقطيع عنده هو تنظيم اللسان البشري تنظيماً خاصاً، يتم بموجبه تجزئة التجربة الإنسانية إلى وحدات تقام على مستويين مختلفين هما: مستوى التقطيع الأول ومستوى التقطيع الثاني.

1 — التقطيع الأول:

هو ذلك الذي يقوم على ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية نريد تبليغها أو كل حاجة من حوائجنا نود تعريف غيرنا بها، تحلل إلى متواليات من الوحدات لكل منها صورة صوتية ومعنى. يقول أندري مارتيني: "إن كنت أشعر بالصداع يمكنني أيضاً أن أعمد للصراخ حتى يعرف من حولي ألمي، لكن هذا وحده لا يكفي لجعله تبليغاً لسانياً، فهو غير قابل للتحليل لأنه يطابق مجموع الإحساس بالألم غير قابل للتحليل. وخلاف هذا تلفظي بجملة: يوجعني رأسي، فهي وحدات أربع: يوجع - ني - رأس - ي؛ فكل واحدة من هذه الوحدات يمكن أن توجد في سياق آخر مغاير تماماً لتبليغ ظواهر أخرى من التجربة البشرية. مثال: توجع فلان مما نزل بصاحبه، ونقول: رأس القوم، وغيرها من الاستخدامات¹، ويمثل هذا التقطيع الأول الاقتصاد اللغوي.

إنّ التقطيع الأول هو الطريقة التي بها ترتب التجربة المشتركة لدى كل أعضاء مجموعة لسانية معينة، وإنه لا يمكننا أن نقوم بعملية التبليغ إلا في إطار هذه التجربة والتي تكون موقوفة على ما هو مشترك بين عدد هائل من الأشخاص².

2 — التقطيع الثاني:

كل وحدة من وحدات التقطيع الأول تمثل معنى وصورة صوتية، وإنه لا يمكن تحليلها إلى وحدات متوالية ذات معنى، فمجموعة: رأس تعني ذلك ولا يمكننا أن ننسب إلى: رأ، وإلى: س معنيين متميزين إذا جمعناهما يدلان على: رأس. لكن الصورة الصوتية قابلة

¹ - أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص 18.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

للتحليل إلى متوالية من الوحدات تساهم كل واحدة منها في تمييز رأس مثلا عن وحدات أخرى، مثل: فأس/ يأس/ روس، وهذا ما نسميه التقطيع الثاني للغة.

فكلمة رأس تتألف من ر/أ/س، فبفضل التقطيع الثاني يمكن للألسن أن تكتفي ببضع عشرات من إنتاجات صوتية متميزة نؤلف فيما بينهما لنحصل على صور صوتية لوحدة التقطيع الأول، وهذا المستوى الثاني بدوره يمثل مظهرا من مظاهر الاقتصاد¹.

نستنتج من هذا أن التقطيع الأول تحصل على وحدات لسانية ذات دلالة (مدلول) وأصوات (دال)، غير قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر ذات دلالة، وتسمى هذه الوحدات بالمونيمات، أما التقطيع الثاني تجسده الفونيمات وذلك من خلال تحليل الوحدات الدالة (المونيمات) إلى وحدات صوتية دُنيا غير دالة في ذاتها لكنها قادرة على تغيير المعنى لها ووظيفة تمييزية وهذه هي الوحدات التي تطلق عليها الفونيمات.

ج — مبادئ التحليل الفونولوجي:

استطاع أندري مارتينييه أن يطور التحليل التركيبي للجملة بوضعه الخطوات لهذا التحليل الذي يبني على وظيفة العناصر اللغوية في التركيب، والطرق التي ترتب وفقها العناصر في الجملة، فقد أشار مارتينييه إلى أهمية الدراسة التركيبية في ضوء النتائج المحصل عليها، حيث قال: "إن مبادئ التحليل الفونولوجي قد وضعت في متناول الناس منذ زمن طويل وبالعكس ما قيل عن التركيب فهو جديد، وجديد جدا بالنسبة لهذا الموقف، وإنَّ ضرورة تقديم منهجية وصفية تغطي شلل منظم مجموعة المعطيات اللغوية جعلتنا نحرص على الجهد الجماعي (...) الذي يهدف إلى فرز ما تمثله الفونولوجيا في مستوى الوحدات التمييزية بالنسبة للوحدات الدالة"².

فقد وضع مارتينييه ثلاثة مقاييس لتحديد العلاقات التركيبية داخل الجملة والتعريف على وظيفتها في التبليغ وتصنيفها في صنف تركيبى معين، وهي:

- مفهوم الاستقلال التركيبي.
- الوحدات الوظيفية.

¹ - ينظر: أندري مارتينييه، مبادئ في اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص20.
² - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1999، ص113.

• موقع الكلمة في التركيب¹.

فمن خلال هذه المقاييس الثلاث التي وضعها مارتينييه يمكننا ضبط ومعرفة وظيفة العلاقات التركيبية في الجملة.

- أهم روادها:

من أقطاب المدرسة الوظيفية نجد:

1 — فيلام ماثيسوس 1882 — 1949:

واحد من ألمع العلماء في اللسانيات واللغة والأدب الانجليزي، أسس بمعية معاونيه حلقة براغ اللسانية ثم شغل منصب أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة كارولين الأمريكية، وفي سنة 1911 نشر ماثيسوس نداءه الأول لمنهج جديد غير تاريخي لدراسة اللغة بعنوان "حول كونية الظواهر اللغوية"، ومن أهم الأبحاث التي قام بها استعمال الدراسة الوظيفية للتمييز بين النحو والأسلوبية، ومن إسهاماته التي نالت شهرة كبيرة في اللسانيات تميزه بين مفهومي الموضوع والخبر وتطويره لمنظور الجملة الوظيفي².

2 — نيكولاي تروتسكوي 1890 — 1938:

عالم لساني روسي ولد سنة 1890 لموسكو، وهو من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا، تولى والده منصب عميد جامعة موسكو³، وانكب على الدراسات اللغوية منذ أن كان في الخامسة عشر من عمره، وفي عام 1908 التحق بجامعة موسكو ليزاول دراسته الجامعية في اللسانيات الهندوأوروبية، وفي عام 1913 بدأ يحضر أطروحته حول مستقبل اللغة الهندوأوروبية، وبعد مناقشتها مباشرة سنة 1916م أصبح أستاذ بجامعة موسكو، وهكذا ازداد ولعه وأشغاله بالبحث والتنقيب، وجاءت الحرب العالمية الأولى بكل أهوالها فاضطر الأمير إلى الفرار إلى الكيسلوفوديسك ثم استقر في القسطنطينية.

وفي فترة 1920 — 1922 التي قضاها بـ "صوفيا" قام بنشر كتاب قيم في "نظرية الحضارات باللغة الروسية وبعد هذه المرحلة انتقل إلى فيينا حيث عُين في كرسي الفيلولوجيا

¹ - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2000، ص101.

² - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص139.

³ - ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص103.

السلافية، وفي هذا الوقت أصبح عضوا بارزا في نادي براغ اللساني، ويعد تروتسكوي مؤسس علم الفونولوجيا، ففي مؤتمر اللسانيات العالمي الأول الذي عقد بمدينة لاهاي سنة 1928، تقدم بالاشتراك مع جاكسون وكارسفكي ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية، نشأتا حوله مدرسة براغ اللسانية، وأصدر سنة 1939 كتابه "مبادئ الفونولوجيا" الذي ترجم إلى الفرنسية سنة 1949 والذي تتدرج أفكاره في إطار المفهوم الوظيفي الذي نادى به مدرسة براغ والذي ينظر للغة على أنها تنظيم وظيفية قائم على وسائط تعبيرية، مستعملة بهدف إقرار غاية معينة. توفي تروتسكوي بفيينا سنة 1938¹؛ فقد شملت دراساته كل المستويات اللسانية الفونولوجية والصرفية والمعجمية.

3 – رومان جاكسون 1896 – 1983:

ولد هذا العالم بموسكو سنة 1896م، وزاول دراسته هناك بمعهد اللغات الشرقية بالجامعة المركزية حيث تخصص في اللسانيات المقارنة والفيلوجية السلافية، وعند اندلاع الحرب العالمية كان جاكسون قد بلغ من عمره ثماني عشر سنة وأسس مع بعض الباحثين "نادي موسكو اللساني" الذي عقد أول جلسة له في مارس سنة 1915، ثم غادر روسيا سنة 1920، وتوجه إلى تسيكوسولوفاكيا أين شسارك في تأسيس نادي براغ وأصدر عام 1921 دراسات تناولت الشعر الروسي الحديث وفي سنة 1928 وضع مع تروتسكوي النظريات اللسانية التي اعتمدها مدرسة براغ وعام 1938 شغل منصب نائب الرئيس لهذه المدرسة.

كما أنه يعد من مؤسسي الفونولوجيا في مدرسة براغ، فلولا ديناميكية الفعالة لما استطاعت أن تحقق ذلك النجاح الكبير ولا استغرقت وقتا طويلا لتفرض نفسها خارج براغ وذلك في كتابه "مبادئ اللسانيات العامة" الذي أعطى فيه أهمية لدراسة الخصائص المشتركة بين الأنظمة اللسانية في المجال الفونولوجي بعد لحظ الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها، ثم ضبطتها وقت التضاد القائم بينهما على المستويين السمعي والنطقي²؛ وبهذه الأعمال يكون جاكسون قد ترك بصمته ضمن الأجيال اللسانية.

— الاقتصاد اللغوي:

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص141.

² - ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص108.

ورد مصطلح الاقتصاد اللغوي في مؤلف مارتينييه "اقتصاد التغيرات الصوتية" الذي يعد أعظم عمل له في الفونولوجيا الزمانية، حيث عرفه بقوله: "لا يمكن أن نحصر معنى الاقتصاد في معنى التعبير... بل إن الاقتصاد يشمل كل شيء: تقليص كل تمييز غير مفيد، وإظهار تميزات جديدة، والإبقاء على الوضع الراهن، فالاقتصاد اللغوي، هو التآلف بين كل القوى المتواجدة¹؛ فهو يرى أن الإنسان يعيش في صراع قائم بين عالمة الداخلي وعالمه الخارجي، فالعالم الخارجي في تطور مستمر، ويتطلب ابتكار مفردات جديدة، والطبيعة الإنسانية الداخلية ميالة إلى الخمول والجمود، كما أن هناك ثمة صراعا بين حاجيات التواصل التي تؤدي إلى تطوير اللغة من جهة، وخمول الأعضاء ونزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلبه عملية التلفظ أو التذكر من جهة أخرى².

إن ما يمكن أن نسميه الاقتصاد اللساني هو ذلك البحث الدائم عن التوازن بين الحاجات المتناقضة التي ينبغي تلبيتها: حاجات التبليغ من جهة وخمول الذاكرة والنطق من جهة أخرى، وبين الحاجات والخمول صراع دائم، وإن قيام كل هذه العوامل بدورها تحدها المحظورات المختلفة التي تنحو إلى تجميد اللسان بإبعاد كل تجديد صارخ³، يرى أندري مارتينييه أن الاقتصاد اللغوي ينتج عن خاصية التقطيع المزدوج، فهذه الخاصية مكنت الإنسان من التعبير عن المعاني الكبيرة غير محدودة بعدد قليل من الأصوات، فلو استعمل الإنسان معنى صرخة محددة لما أمكنه التواصل مع أخيه لأن ذاكرة الإنسان وجهازه النطقي لا يمكنه استيعاب ذلك الحجم الهائل من الأصوات من جهة أخرى يدخل الاقتصاد اللغوي كعامل مهم في التفسير اللغوي، فاللغة في تطورها تتخلص من كل ما هو مجهد وثقيل⁴.

نستخلص من خلال هذا الفصل أن المدرسة الوظيفية الفرنسية التي يتزعمها اللساني المشهور أندري مارتينييه من أهم المدارس اللسانية الحديثة التي بحثت في دراسة اللغة في جميع مستوياتها، وفق مبادئ معينة تبناها هذا اللساني ومن أخذ بنهجه في دراسة اللغة.

¹ - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص155.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص155.

³ - أندري مارتينييه، مبادئ في اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص154.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص22.

فقد كان لأندري مارتينييه الأثر البليغ في النهوض بهذا المنحى اللساني، وجعل الباحث في المدرسة الوظيفية يتطّلع ويكشف ما إذا كانت القطع الصوتية التي يحتويها النص تؤدي وظيفة في التبليغ. وهو ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني.

المحاضرة السادسة: المدرسة السياقية

حظي السياق باهتمام العرب والغرب في تحديد معاني ودلالات الكلمات ذلك أن تعدد معنى الكلمة يؤدي إلى تعدد احتمالات القصد منها.

وتعدد احتمالات القصد يعود إلى تعدد المعنى، فيقوم السياق إذن بوضع الكلمة داخل التركيب اللغوي من خلال تحديد دلالاتها تحديدا دقيقا، ولهذا تناول كل من اللغويين والنحويين وعلماء التفسير تطبيقا وتنظيرا⁽¹⁾.

- التعريف بالنظرية السياقية :

نشأة النظرية السياقية :

ظروف نشأة النظرية السياقية :

(1) أحمد بنفارس، مقاييس اللغة، ت. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1973، ج 3، بتصرف، ص 116.

يمثل هذه المدرسة توجهات لسانية نشأت بشكل متنقل من اللسانيات البنوية "انطلق أحدهما من الإنجليزي "جون فيرث" (ت 1960)، وانطلق الآخر من جهود العالم الصوتي "دانيال جونز"⁽¹⁾، أما الاتجاه الأول فتمثله نظرية في اللغة متميزة نسبت إلى المستشرق والباحث الصوتي الإنجليزي "فيرث" وفي الحقيقة لم يشهد درس اللساني الإنجليزي تطورا نوعيا ومنهجيا إلا على يده، فهو الذي طور نظرية السياق الحال التي تعني بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي أما الاتجاه الثاني فقد قدم فيه "دانيال جونز" دراسة للفونولوجيا بطريقة متميزة عن طريق الفونولوجيين حيث اعتمد على منهج الوصف المادي، الذي يهتم في دراسته للفونيم بطبيعة الفيزيائية ولا يهتم بوظيفته"⁽²⁾.

نستخلص من هذا أن النظرية السياقية نشأت من اللسانيات البنوية بحيث انطلق البعض من "فيرث" الذي تطور درس اللساني على يده بحيث أنه طور سياق الحال الذي يعني بالجانب الدلالي للغة الطبيعية وانطلق البعض الآخر من "دانيال جونز" الذي اهتم بعلم الأصوات واعتمد على المنهج الوصفي المادي الذي يهتم بدراسة أصغر وحدة للصوت وهي الفونيم.

التعريف بصاحب النظرية – جون روبرت فيرث – :

"جون فيرث" John Firth (1890 – 1960) ولد فيرث بيوركشير سنة 1890 ودرس التاريخ قبل أن يلتحق بالخدمة الوطنية ويجوب مختلف أنحاء الإمبراطورية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى.

وكان من حسن حظه أن استقر بالهند لمدة طويلة، وتعلم بعض اللغات الشرقية وهكذا تأثر بالنظريات اللغوية الهندية، الشيء الذي جعله يعتقد أن تطوير أي نظرية لغوية لا يكون إلا بالمعرفة الدقيقة للصوتيات الحديثة ونظرا لاهتمامه بالتعليم ومناهجه تولى مهمة تدريس اللغة الإنجليزية بجامعة البنجاب سنة 1919، ورجع مباشرة إلى جامعة لندن ليشغل منصب أستاذ بمعهد الصوتيات بعد جولته المشرقية المليئة بالنشاطات الأكاديمية"⁽³⁾.

(*) دانيال جونز (1881 م – 1967م)، عالم صوتيات بريطاني، شغل منصب رئيس قسم الصوتيات في جامعة لندن ورئيس الجمعية الصوتية الدولية.

(2) أحمد عمر المختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1988، ص 14.

(3) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 2005، ص 172.

"وفي سنة 1938، انتقل إلى كلية اللسانيات للدراسات الشرقية والإفريقية بلندن ليتولى تدريس مقياس الدراسات الشرقية والإفريقية، فقد أول من درس هذا المقياس منذ إقراره عام 1944، وكذلك أول من منح رتبة أستاذ ذي كرسي في اللسانيات العامة ببريطانيا العظمى، وجدير بالذكر أن "فيرث" قد كوّن أجيالا مديدة من الطلبة، وتخرج على يده عدد لا بأس به من اللسانيين الذين ما فتئت أعمالهم تعكس أفكاره وتشع بنظريته"⁽¹⁾.

مرافاته من أشهرها ما يلي (2):

- (1) تقنية علم الدلالة أصدر عام 1935 م.
- (2) مدرسة الصوتيات الإنجليزية الذي كان عام 1946 م.
- (3) وأخيرا ملخص النظرية اللغوية والذي كان تاريخ إصداره عام 1957 م.

التعريف بالنظرية السياقية:

مدرسة فيرث (1890 – 1960 م) Firth. J. R : وهي مدرسة أوروبية لغوية أيضا يهتم بالمعنى، تكونت منها مدرسة لغوية في بريطانيا أطلق عليها (المدرسة اللغوية الاجتماعية)، وهي مدرسة أثرت في التفكير العربي الحديث تأثيرا واضحا، إذ تتلمذ على يد "فيرث" عدة من أساتذة اللغة العربية في مصر.

"كانت نظرية "فيرث" محصلة للدراسات اللغوية التي بدأت في بريطانيا منذ نهاية القرن الثامن عشر، حينما كشف العالم (وليم جونز 1746 م – 1894م)⁽³⁾، علاقة اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية، فضلا عن مخلفات الفكر اللغوي في أوروبا ولاسيما نظرية الفونيم التي صاغها علماء "مدرسة براغ".

ويعد "فيرث" أول عالم بريطاني وضع نظرية لغوية حديثة، بعد أن كان اهتمام علماء اللغة في بريطانيا لا يعدو وضع المعجمات والدراسات الصوتية واللهجية، متأثرا في ذلك بجهود العالم الأنثربولوجي.

(1) نفس المرجع السابق، ص 172.

(2) عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء، عمان، ط 1، 2002، ص 253.

(*) وليم جونز (1746 م – 1794 م)، هو مستشرق بريطاني وفقهه قانوني، أنشأ الجمعية الآسيوية سنة 1784م، وتولى رئاستها إلى آخر حياته.

مالينوفسكي الذي جرت معظم أبحاثه في جنوب المحيط الهادي بين سكان جزر "تروبرياندا"، إذ وجد هذا الباحث نفسه أمام مشكلة ترجمة العبارات اللغوية التي يستعملها سكان هذه الجزر إلى اللغة الإنجليزية وبخاصة العبارات التي تتعلق بدينهم، أو التي لها أهمية ثقافية خاصة، وحين حاول حل هذه المشكلة وجد نفسه – من دون قصد – يصوغ نظرية في اللغة والمعنى، سميت بـ "نظرية السياق"⁽¹⁾.

"كما وضح "فيرث" بنظريته السياقية للمعنى أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي يستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه، ولهذا يصرح "فيرث" بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسبيق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة"⁽²⁾.

تأسست هذه المدرسة على نزعتين :

الأولى : على الأصوات الوظيفية (أي الفونولوجية) وبمعنى آخر كانت تنطلق في بحثها ودراستها من المبادئ الفونولوجية التي وضع أسسها اللسانيون (بال Bell) وابنه (هنري سويت H. Sweet 1845 م – 1912 م)⁽³⁾ والعالم (دانيال جونز D. Jones 1881 م – 1967 م)، جاء بعده اللساني (جون فيرث J. Firth 1890 - 1960) الذي تأثر بالنظريات اللغوية الهندية واعتقد أن تطور النظريات اللغوية يستلزم الدراية الدقيقة بمباحث الأصوات اللغوية.

الثانية : بنت فيها النزعة الدلالية الثقافية التي مثلها العالم اللساني فيرث (ت 1960م) وعلى العموم ركزت هذه المدرسة في بحثها الظواهر اللغوية على السياق ومقتضى الحال"⁽⁴⁾.

(1) خالد خليل هويدي، نعمة دهش الطائي، محاضرات في اللسانيات، مكتبة نور الحسن، كلية التربية، جامعة بغداد، بغداد، 2015، ص 101.

(2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1988، ص 68.

(*) هنري سويت (1845 م – 1912 م)، عالم في فقه اللغة التاريخي والمقارن، وعالم صوتيات، تخصص في اللغات الجرمانية من آثاره (الدراسات العلمية للغات)، و (تاريخ اللغة).

(4) السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2008، ص 78.

منهج الدراسة في النظرية:

عرفت مدرسة لندن بما سمي بالمنهج السياقي أو المنهج العملي الذي يعمل على تأكيد الوظيفة الاجتماعية للغة، "وقد نادى بها "فيرث" في منهجه المتميز الأحادية (Monism)، إيماناً منه بأن ثمة مبدأً غائياً واحداً ألا وهو المادة، فكان يرفض باستمرار بناء فكره اللغوي على ما يسمى إليه "دي سوسير" تماماً. لقد كان يرفض باستمرار بناء فكره اللغوي على ما يسمى بالثنائيات التي يصعب تحقيقها من الناحية العلمية، وذلك على خلاف ما ذهب إليه "دي سوسير" تماماً. لقد كان شديد الحرص على وصف اللغة بوصفها نشاطاً معنوياً في سياق اجتماعي معين. وجاء تبريره لهذا الموقف بقوله: بما أننا نعرف القليل عن العقل ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكف عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتفكير والكلام، وأكون راضياً بالإنسان ككل، يفكر ويتصرف وسط رفقاءه كوحدة شاملة. ولتوضيح مبدئه من هذا المذهب المثير للشكوك، أرفد قائلاً: إن اجتنابي لاستعمال هذه الثنائيات لا ينبغي أن يفهم على أنني أقصيت مفهوم العقل إقصاءً، أو احتضنت المذهب المادي احتضاناً"⁽¹⁾.

"فيرث" من خلال قوله هذا قد صرح بأنه بالرغم من رفضه لاستخدام هذه الثنائيات إلا أن هذا لا يعني أنه قد أهمل المفهوم العقلي واحتضن المذهب المادي".

وقد انصب اهتمامه بهذا على مجالات كثيرة، مكنته من إقامة نظرية لسانية مستقلة بذاتها، من أبرزها: المكون الاجتماعي، التحليل اللغوي، علم الدلالة، والصوتيات الوظيفية، وحاول التعرف على الفيرثيين الجدد وقواعدهم النظامية (Systemic Grammar)⁽²⁾.

- أهم الاتجاهات اللغوية التي نادى بها المدرسة:

من أهم الاتجاهات اللغوية التي نادى بها هذه المدرسة ما يلي⁽³⁾:

(1) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 2005، ص 173.

(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 173.

(3) عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، الجامعة الهاشمية، 2005، ص 164.

1- لم يكن الاتجاه الإنجليزي في ميدان الدراسات اللسانية، يمثل خطأ واحداً ذا منهجية متماثلة، ولكن المتجه العام له، منذ عصر النهضة فصاعداً ركز على الصوتيات في ميادينها التطبيقية كإصلاح الإملاء، وتعليم اللغات، وابتكار رموز أبجدية وأنظمة صوتية جديدة وعامة.

2- دراسة الجوانب الصوتية للغة حيث ظهر مصطلح الفونيم وظهرت في مصنفات هذه المدرسة الملامح غير الجزئية حيث ضمت النبر، التنغيم، المفصل.

3- دراسة الوسائل التي تعين على تحديد المعنى، ولاسيما المتصلة منها بالظروف الاجتماعية المحيطة بالحدث اللغوي.

4- أهمية أن يعتمد كل تحليل لغوي على أساس مراعاة ما يسمى السياق اللفظي أو اللغوي وسياق الموقف أو المقام.

5- دراسة التحليل النحوي "النحو النظامي".

6- التركيز على دراسة المقام أو السياق الذي يتطلب نوعين من العلاقات :

- الأولى : الداخلية بين عناصر الحدث اللغوي وهي نوعان : علاقات داخلية تكون بين عناصر التركيب اللغوي والأخرى التي يحل كل عنصر منها مكان الآخر.
- أما الثانية : فهي خارجية في إطار الموقف الكلامي وهي أيضاً نوعان، النص المتصل بالمكونات غير اللفظية والأخرى علاقات تحليلية تكون بين أجزاء النص.

-المزايا والانتقادات الموجهة للنظرية :

مزايا النظرية السياقية :

لعل من أهم مزايا هذه النظرية موضوعيتها، وعدم خروجها عن بنية اللغة، والسياق الثقافي المحيط بها. وقد سنع منهاجها السياقي الطريق للمهتمين باللغة أن يوجهوا اهتمامهم إلى العناصر اللغوية نفسها، والأنماط التي تنتظم فيها بدلاً من صرف انتباههم إلى العلاقات النفسية بين اللغة والذهن، أو اللغة والخارج، أو إلى العمليات النفسية التي تحدث في الدماغ.

وكذا فإن العناية بالسياق تعني مراعاة سمة من أهم السمات المتأصلة في طبيعة اللغة، وهي السمة التراكمية للعناصر اللغوية إذ يتسنى للمهتمين باللغة من خلال رصد أهمية هذه

السمة، وتطبيقاتها أن يكشف الدور الذي يؤديه تسلسل العناصر اللغوية، وتفاعل بعضها مع بعض في عمليتي الفهم، والإفهام الضروريتين في عملية التخاطب اللغوي.

وفي مزايا هذه النظرية أيضا تركيزها على الجوانب الوظيفية للغة، التي تعد الجوانب الأهم نظرا إلى أن الوظائف اللغوية هي التي ابتكرت من أجلها اللغة البشرية بوصفها أهم وسائل الإبلاغ على الإطلاق⁽¹⁾.

أهم ميزة لها إذن أنها لا تهتم من بين أنواع السياق اللغوي أو السياق اللفظي الذي يعتبر ركيزة أساسية قامت عليها هذه النظرية إضافة إلى سياقها الحالي الذي يعد النوع الثاني من أنواعها.

الاعتراضات الموجهة للنظرية :

ومع هذا فقد وجهت عدة اعتراضات على هذه النظرية، منها⁽²⁾ :

(1) أن "فيرث" لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، واكتفى فقط بتقديم نظرية للسيمانتيك، مع أن المعنى يجب أن يعتبر مركز من العلاقات السياقية، ومن الأصوات والنحو والمعجم والسيمانتيك.

(2) لم يكن "فيرث" محددًا في استخدامه للمصطلح السياق Context مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف Situation غامضا غير واضح كما أنه بالغ كثيرا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق.

(3) إن هذا المنهج لا يفيد من تصادفه كلمة ما عجز السياق عن إيضاح معناها، فلن يفيد شيئا أن تقول له إن هذه الكلمة ترد في السياقات الآتية ... ولكنه يفيد الباحث الذي يريد أن يتتبع استعمالات الكلمة، واستخداماتها العملية في التعبيرات المختلفة.

كما أن هذه النظرية تجاهلت النسبة الخارجية أو اشتراطات الصحة للجملة التي تبرز أهميتها في دراسة العلاقات بين المفردات المعجمية، وكذلك الجمل اللغوية وذلك مثل : الترادف، والتضمين والعكس، والتضاد، والتناقض، ونحوها⁽³⁾.

(1) محمد محمد علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط 1، 2004، ص 31 - 32.

(2) أحمد عمر المختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1988، ص 73 - 74.

(3) محمد محمد علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 32.

المحاضرة السابعة: المدرسة التوزيعية.

تمهيد:

المدارس اللغوية الحديثة كثيرة، بالإضافة إلى الاتجاهات الفرعية التي تنتظم بها كل مدرسة من هذه المدارس، لكن ثمة مدارس لها منهجها المتميز الذي ينحو منحى بعيدا إلى حد كبير من مناهج المدارس الأخرى، وقد ظهرت هذه المدارس في ظل محاولة علماء اللغة التخلص من طغيان نظرية التطور، فقد أنكر بعضهم أن تكون التغيرات اللغوية مماثلة للتغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي، وأخذ العلماء ينظرون إلى اللغة على أنها بنية ونظام، ومن هنا انطلقت المدارس اللغوية الحديثة.

من المدارس المعروفة في الثقافة اللسانية [المدرسة التوزيعية]

مفهوم التوزيع:

إن التوزيع مفهوم يرتبط بالموضوع الذي توجد فيه الكلمات، أي كل ما يحيط بها يمينا أو شمالا، وهذا ليس غريبا عن اللسانيات العربية التقليدية، ذلك لأن تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل

وحرف، يعد ضرباً منه، إن لم نقل هو التوزيع نفسه، ما دام ينطلق في ذلك من جملة المحددات التي تدخل عليها من اليمين أو اليسار، فتميزها عن الأنواع الأخرى من الكلم.¹ يعرف مصطفى غلفان "التوزيع" بقوله: «التوزيع هو مجموع المواقع التي نجد فيها الوحدات داخل جمل تنتمي متن لغوي واحد».²

2 أنواع التوزيع:

يوجد تقسيماً للتوزيع:

_ التقسيم الأول: ينقسم التوزيع حسب علاقة سياقات عنصر بسياقات عنصر آخر إلى أربعة أقسام:

يذكرها شارحا لها محمود نحلة* فيقول: «إذا كان لوحدة لغوية توزيع أخرى فهما ينتميان إلى نوع واحد وكل منهما يعد معادلاً توزيعياً، فإذا وردت (ب) في كل السياقات اللغوية التي يرد فيها (أ) ولكن (أ) زادت عليها فوردت في سياقات لغوية لم ترد فيها (ب) والعلاقة بينهما علاقة اشتمال.

وإذا وجدت سياقات يرد فيها كل من (أ) و(ب) وسياقات يرد فيها أحدهما دون الآخر فتوزيعهما متقاطع.

وإذا كان السياق الذي تستخدم فيه (أ) لا تستخدم فيه (ب) على الإطلاق، بحيث إذا ظهرت إحدهما في سياق اختفت الأخرى فتوزيعهما متكامل.³

إذن للتوزيع أربعة أنواع:

1_ المتبادل. 2_ الاشتمال. 3_ المتقاطع. 4_ المتكامل.

_ مثال التوزيع المتبادل: كتوزيع صيغة منتهى الجموع والاسم المختوم بألف التأنيث المقصورة أو الممدودة بالنسبة لعلامة الإعراب، إذ يتطابقان في إعراب الممنوع من

¹ شفيقة علوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2004، ص 34.

² اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص 396، وأنظر أيضاً: 392 وما بعدها.
*محمود نحلة (22 مارس 1948) أستاذالدراسات اللغوية والنحوية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية ومدير معهد الدراسات اللغوية والترجمة، ولد في 22 مارس 1948 في محافظة الغربية.

1_ محمود نحلة، الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية، ار المعرفة الجامعية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، سنة 1994، ص 23

الصرف وكذلك اسم الجامع مع العلم، واسم الفاعل مع الصفة، إذ أن سياقات اسم الجنس متساوية مع سياقات العلم وكذلك سياقا اسم الفاعل مع الصفة.¹

_ مثال توزيع الاشتمال: اسم الجنس أو علم الشخص مع الضمير « إذ يقع أي منهما في كل المواقع التي يقع فيها الضمير، ولا يقع الضمير في كل المواقع التي يقع فيها اسم الجنس أو علم الشخص، فهما مثلا يوصفان ولا يوصف الضمير». ²

_ مثال توزيع المتقاطع: اسم الجنس مع اسم الفاعل « إذ يمكن أن يقع في سياق لغوي واحد حيننا نحو: الدار أنت نازل فيها؟
الدار أنت رجل فيها؟

لكن استخدام اسم الجنس غير ممكن في موضع اسم الفاعل في سياق مثل:

هذا _____ زيدا غدا ³

_ مثال التوزيع المتكامل: "متحقق بين (متى) و(أين) حين يكون الأول استفهما عن الزمان والثاني استفهما عن المكان، وحين يظهر أحدهما في سياق لا يظهر فيه الآخر نحو:

_ متى سفرك؟ متى بيتك؟⁴

_ أين سفرك؟ أين بيتك؟

هذا وقد تفرد عبد الغني الأدبي _ تسمية وتمثيلا _ بنوع من العلاقة سماه العلاقة التكاملية، فقال: « وهي نوع من العلاقة التوزيعية تختلف عن النوعين السابقين، فهي ليست تبادلية ولا تخالفية ولا يمكن أن تظهر الوحدة أو العنصر اللغوي من دون العنصر الآخر، فلا بد أن يظهر معا، ولذلك تسمى العلاقة تكاملية، فهما في حالة إدماج. إن هذه العلاقة يمكن إدراكها على مستويين عند سيبويه: الأول: على مستوى الوظيفة النحوية، فهناك وظيفة تستلزم وظيفة أخرى، فالمبتدأ يستلزم الخبر والفعل يستلزم الفاعل، أما المستوى الثاني: فعلى مستوى الأدوات أو المورفيمات الوظيفية، فيشير سيبويه إلى بعض الحروف ويجعلها

¹ أنظر الاسم والفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية /24. وأنظر أيضا: ملامح [التوزيع] عن إمام النحاة سيبويه /49.

² الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية/24، وأنظر أيضا: العربية من منظور المنهج التوزيعي/10.

³ الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية/25.

⁴ السابق /26 وأنظر أيضا: ملامح [التوزيع] عند إمام النحاة سيبويه /49.

مختصة بالدخول على صنف لغوي معين، لا يمكن أن تستعمل بدونه حيث يقول عن سوق وقد: إنما وضعت للأفعال...¹

وبناء على ما سبق في التقسيم السابق لعلاقة السياقات عنصر بسياقات عنصر آخر إلى أربعة أنواع، "إذا أردنا أن نحدد توزيعات العناصر اللغوية فإنه يلزم أن نقوم بالخطوات الآتية:

أ_ رصد شروط ورود العناصر أو الوحدات اللغوية في مختلف تراكيب اللغة.

ب_ مقارنة هذه الشروط التي تمثل الحالات أو السياقات التي ترد فيها الوحدات في التراكيب اللغوية بعضها ببعض.

ج_ تحديد علاقات سياقات توزيع الوحدات بعضها ببعض من حيث التوافق التام أو التقاطع أو التمايز.... إلخ.

د_ تصنيف هذه التوزيعات وفق علاقات التوافق والتقاطع والتمايز.²

_ التقسيم الثاني:

كما ينقسم التوزيع بحسب استغراق الموضوع لكل السياقات وعدم استغراقه لها إلى قسمين:

1_ التوزيع الجامع: وفيه يظهر العنصر في كل السياقات المتصلة بعضها ببعض بداخل نطاق معين... ومثاله في تراثنا اللغوي ما قام به الخيل عندما راجع الكلمات الرباعية والخماسية، وبين أنه لا يمكن أن تخلو واحدة منها من حروف الذلق³ قال عن توزيع حروف الذلق: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب.

2_ التوزيع غير الجامع (الناقص): ويقوم هذا التوزيع حين يظهر العنصر في بعض السياقات المتصلة ببعضها البعض (لكن ليس كل) سياقات النطاق، وهو نوعان:

1_ التوزيع المنظم أو غير الاعباطي: ويراد به التوزيع الخاضع لنظام ما، وهو يقوم حين تكون المجموعة الفرعية الخاصة للسياقات التي يظهر فيها شيء ما خاضعة للتعميم، ومن هذا النمط من التوزيع في العربية جمع المذكر السالم الذي يعد منظماً، أي خاضعاً لنظام ما

¹ ملامح [التوزيع] عند إمام النحاة سيويه/50.

² العربية من منظور المنهج التوزيعي/11 وما بعدها، وأنظر أيضاً: القضايا الأساسية في علم اللغة، حاشية (2) من 166.

³ الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج1، 51.

من جهة أن المجموعة الفرعية التي يدخلها من الأسماء ترتبط بشروط معينة، وهو يعد توزيعاً ناقصاً أيضاً من جهة عدم وروده في جميع الأسماء.

ب_ التوزيع الاعباطي: يقول اللسانيون بالتوزيع الاعباطي، حيث لا يكون ثمة تعميم أو قانون يضبط توزيع عنصر لغوي ما، أي حيث لا يقوم توزيع منضبط، ومثاله في العربية توزيع جمع التكسير بالنسبة للأسماء، إذ ليس له ضابط نستطيع به أن نقرر أن ورود جميع التكسير في كذا من أقسام الاسم، وهذا بخلاف جمع المذكر الذي له مجموعة معينة من الأسماء، ويمكننا إخراجها من إطار التوزيع، وجعله مقابلاً للتوزيع، أي حالة اللاتوزيع، وهو يذكر في مقابلة التوزيع ليتضح التوزيع المنظم من مقابلة غير المنظم.¹

3 المنهج التوزيعي:

يعرف هذا المنهج بالمنهج التوزيعي أو الهيكل الشكلي أو السلوكي، وقد انطلق أصحابه من مفهوم البنية عند ديسوسير، ودققوا في مفهومه أكثر، ووضعوه منهجاً لا يخلو من موضوعية، وقد ساد هذا المنهج في النصف الأول من القرن العشرين (من 1920 إلى 1950م) في أمريكا ثم في بعض أنحاء العالم، وكان لكتاب بلومفيلد (1887م- 1949م) الموسوم ب(اللغة Langue) كبير الأثر في الترويج لهذا المنهج في أمريكا.

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن أبرز من أرسى اللسانيات الأمريكية وساهم في توجيهها إلى ما هي عليه اليوم ترجع في الحقيقة إلى ثلاثة باحثين هم بالترتيب:²

1_ فرانز بوغز (Frunz Boos) 1858م- 1942م.

2_ إدوارد سابير (Eduared Sapir) 1884م- 1939م.

3_ ليونارد بلومفيلد (Leounard blomfield) 1887م- 1949م.

فقد كان (فرانز بوغز) (ت1942م) أول مؤسس اللسانيات الحديثة الوصفية في أمريكا من خلال كتابه "دليل اللغات الهندية الأمريكية" اجتذبه العلوم الإنسانية فأدرك أن اللغة أهم مظهر من مظاهر الثقافة التي يجب على الأنثروبولوجي³ أن يفهمها ويصفها بدقة، ويكشف بأن نظمها ونسيج تأليفها يشكل وحدة متماسكة، فهو يرى أن المجتمع لا يفهم من خلال بينته، بل من خلال ثقافته، وبأنه لا يمكن فهم ثقافته إلا من خلال لغته، لغته المنطوقة أي (الكلام La parole) على خلاف ديسوسير الذي اعتمد على اللغة ذات الارتباط بالمجتمع.

¹ العربية من منظور المنهج التوزيعي /7 وما بعدها.

² أنظر: هروبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 300.

³ الأنثروبولوجي نسبة إلى الأنثروبولوجيا: علم الأجناس.

أما سابير (ت1921) فتخصص في الفيلولوجية¹ وحين لقي (فرانز بوغز) عام 1904 تأثر به وانجذب إلى منهجه الأنثروبولوجي فعمد إلى دراسة اللغات الهندية الأمريكية إلى طول سواحل المحيط الهادي للولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا اهتم (سابير) بالأنثروبولوجية وباللسانيات وبالآداب والفن والموسيقى أيضاً، وقال بعدم فصل الدراسة اللغوية عن باقي مظاهر السلوك البشري وعن علم النفس وعلم الاجتماع لذا ركز على الجانب العلمي الواضح في الاهتمام بالعمل على الرابط القوي بين الدراسة الأنثروبولوجيا وعلم اللغة في بحث اللغات الأمريكية الهندية ما قبل الأدبية، وقد كان سابير² يقف مقابلاً لبومفيلد من الناحية العلمية، لأن بلومفيلد ذو توجه علمي صاردي في تفسيره الميكانيكي للعلم بجل اهتمامه على المنهجية وعلى التحليل الشكليين بينما قابله سابير بتوجيه موضوعه إلى استكشاف علاقته بالآداب والموسيقى والأنثروبولوجيا وعلم النفس ملحا على مسألة تأثير اللغة في الحياة الإنسانية.³

4_ مبادئ التحليل التوزيعي:

أ_ مفهوم التوزيع:

إن طبيعة المنحنى اللساني التوزيعي الذي هو في الواقع رد فعل على الدراسة اللسانية التقليدية التي ما برحت ترسخ مبدأ الخطأ والصواب في القعيد المعياري للغات، جعلته ينفرد بالرؤية الوصفية الظاهرية للأشكال اللغوية، فهو يتوخى لتحقيق ذلك معاينة السياق الكلامي عن كثب، ومحاولة ضبط توارد المؤلفات اللغوية في هذا السياق حسب المواقع التي تتبدى فيها.

فمفهوم التوزيع إذن عبر الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن حواليته المؤلفوة وقد يحدد « توزيع عنصر بأنه مجموع العناصر التي تحيط به، ومحيط عنصر (أ) يتكون من ترتيب العناصر التي ترد معه، أي العناصر الأخرى التي يتوافق كل منها في موقع معين مع العنصر في تركيب كلامي والعناصر التي ترد مع العنصر (أ) في موقع معين تدعى انتقاء هذا العنصر لهذا الموقع ». «

¹ الفيلولوجية: مصطلح غربي قصد به، أ_ الدراسة المقارنة للغات، ب_ تحقيق النصوص وشرحها وما يتطلبه من دراسة للجوانب الصرفية والنحوية والمعجمية، ج_ دراسة الثقافة والتقاليد والتاريخ.

² أنظر: ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب /ص335 وأحمد مومن: اللسانيات والنشأة والتطور، ص 189.

³ الدكتور سعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، الجزيرة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، دار السلام الحديثة، 2007 ص 87-88-89.

إن المتكلم _ المستمع المثالي _ للغة حين إحدائه الفعل الكلامي يشعر كأنه يقوم بعملية انتقاء للعناصر اللسانية التي تحقق المحتوى الفكري لكلامه في الواقع، بيد أنه في الحقيقة « ليس حراً سوى في اختياره لوحدات الفئات التي ترد عادة معاً، ولا يقوم باختيارها إلا في الترتيب الذي يرد فيه هذه الفئات »¹.

لذلك فإن العناصر اللسانية التي لها التواتر نفسه، في السياق نفسه يقال إن لها التوزيع نفسه، فهي بذلك بدائل توزيعية، ومن ثم فإن التحليل اللساني الذي يعول على موقعية فئات الكلم، وتوزيعها ضمن سياقها المؤلف يتوخى استكشاف آلية لغة من اللغات من خلال وضع لائحة للوحدات الأساسية في كل مستويات الدراسة اللغوية، ومن خلال تحديد الفئات التي تنتمي إليها واستكشاف تألفها فيما بينها.

ولذلك أخذ التوزيعيون _ كما أخذ بعض النحاة العرب الأقدمين يحددون كل جزء من أجزاء الكلام بما يمكن أن يوجد حوله من عناصر في السياق الذي يرد فيه عادة فهم يعرفون أقسام الكلم تعريفاً موقعياً، فكل العناصر التي تحتل الموضع نفسه في السياق تنتمي إلى القسم نفسه من أقسام الكلام.

وتحسن الإشارة هنا إلى ما فعله ابن مالك في ألفيته حين تعرضه لأقسام الكلام، فقد عرفها حسب موقعيتها تماماً كما فعل التوزيعيون، حيث جاء في ألفيته:

بالحرِّ والتَّنْوِينِ، وَالنِّدَا وَالْ
بِنَا فَعَلْتُ وَأَنْتَ وَيَا أَفْعَلِي وَتُونِ اقْبَلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي
سِوَاهُمَا الْحَرْفُ كَهَلٌ وَفِي وَلَمْ

إن أدنى تأمل في هذا التعريف يهدي إلى أن ابن مالك قد راعى في ذلك توزيع العناصر اللسانية، وجعل همه الأول أي في التعريف حقه بتحديد الحوالية اللسانية التي تتباين مع العناصر اللسانية وفقها من حيث تواترها في السلسلة الكلامية المنطوقة.
ب _ إقصاء المعنى:

إن الدراسة اللسانية في نظر التوزيعيين ليست البحث عن موجودات مفترضة وراء الأشكال اللغوية تعد أسباباً لها ولانتظامها، إن كل شيء في الوصف اللساني، يجرب على السطح المنطوق، أو المكتوب، وكل محاولة تسعى إلى البحث عن أشياء خلف السطح هي

¹ _ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1999، ص 103-104.

وهم منهجي عقيم، ولهذا يصر التوزيعيون على استبعاد المعنى استبعادا كليا من التحليل اللغوي، ليست لأنه لا أهمية له، بل لإيمان أحاب هذه المدرسة بأن المعنى لا يمكن إخضاعه لنوع الدراسة الوصفية العلمية الدقيقة، التي يمكن أن تخضع لها الأنظمة الظاهرة الأخرى.

وكان بلومفيلد قد صرح بأهمية الدراسة الدلالية حين قال: « لكي نقدم تعريفا صحيحا علميا عن معنى كل شكل لغوي، لا بد لنا من أن نملك معرفة صحيحة علميا، عما يكون عالما المتكلم، إذ التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية».

وكان هذا التصريح منه يشي بما آمن به في قرارة نفسه، إلا أن تلامذته اللاحقين استنتجوا من كلامه الظاهر، أن دراسة الدلالة صعبة المنال علميا، وأنها ستظل كذلك، كما رأوا أنه لا بد من استبعاد علم الدلالة من الوصف اللغوي.¹

ولذلك فهم يميلون إلى شطب الدلالة من اهتماماتهم المنجية دون أدنى عناء لصالح النزعة الشكلية الناتجة عن التأثير الواضح بنظريات علم النفس السلوكي الذي يعول كثيرا على ظاهر الأشياء، فالممكن في نظر التوزيعيين هو ضبط السياقات المختلفة التي يظهر فيها العنصر اللغوي، أي تسجيل توزيع هذا العنصر في السلسلة الكلامية.

ج_ التحليل إلى مؤلفات مباشرة:

لقد انفردت الدراسة اللسانية التوزيعية باتخاذها منهاجا وأساليب محددة وأكثر وضوحا ودقة، مما كان مألوفاً آنذاك، في الدراسات التركيبية التقليدية فالتحليل التركيبي التوزيعي يمثل أولى المحاولات لوصف البنية التركيبية وصفا بنيويا تاما.

فالمنهج الأساسي المعتمد في تحليل البنية التركيبية لدى التوزيعيين ينعت بالتحليل إلى مؤلفات، وهو التحليل الذي عن طريقه تفكك بنية الجملة ليس على أساس أنها مؤلفة من طبقات مرصوفة بعضها بجانب بعض، بل على أساس أنها مؤلفة من طبقات من مكونات الجملة بعضها أكبر من بعضها الآخر، إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات لكون المورفام وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل.

وتحسن الإشارة ها هنا إلى أن أصفى صورة للفرق بين اللسانيات التوزيعية واللسانيات الأوروبية المعاصرة، تتجلى في مفهوم مصطلح المورفام، فهو عند التوزيعيين مفهوم خاص يختلف عن المفهوم الأوروبي الذي يدل على الوحدة النحوية مقابل الوحدة المعجمية، هذا

¹ _ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 105 – 106.

المفهوم الذي يتوخاه بخاصة مارتيني ومن يلف لفه، حيث يستعملون للتعبير عن معنى المورفام عند التوزيعيين مصطلح اللفظم (Le monème).¹

إن مصطلح مؤلف (constituant) يطلق في اللسانيات التوزيعية على كل مورفام أو ركن كلامي الذي يمكن له أن يدرج ضمن بناء أكبر وتنقسم مؤلفات الكلام إلى قسمين: _ أحدهما: المؤلفات المباشرة: وهي مكونات الجملة المقابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر. _ والآخر: المؤلفات النهائية: وهي المؤلفات غير القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر. إن هذا النمط من التحليل أمسى سائدا في كل منوال يسعى إلى وصف البنى التركيبية للغات سواء أكانت تلك اللغات معروفة كاللغات الهند اوروبية أم مجهولة كلغات الهند الحمر.

فكان هذا التحليل إذا وسيلة تطغى على ما سواها في تحليل بنية الجملة إلى العناصر التي تتألف منها، ومعرفة أي جزء من أجزاء الكلام يتبع كل عنصر، وذلك بموجب سلوكه اللغوي في الجملة، والاهتداء إلى علاقة الكلمات بعضها ببعض.

وليكن مثلا النموذج التالي من الجمل العربية تمثيلا لهذا التحليل:²

أَتَتْكُمْ فَالِيَةُ الْأَفَاعِي

تتكون هذه الجملة من مؤلفين مباشرين هما:

/ أَتَتْكُمْ / / فَالِيَةُ الْأَفَاعِي /

1 2

والمؤلفان (1) و (2) يمكن لنا تحليلهما إلى مؤلفين أيضا:

/ أَتَتْ / / كُمْ /

3 4

/ فَالِيَةُ / / الْأَفَاعِي /

5 6

والمؤلف (3) يمكن لنا تحليله إلى مؤلفين:

/ أَتَى / / ت /

7 8

¹ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 106-107.

² أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 107-108.

والمؤلف (6) يمكن لنا تحليله إلى مؤلفين:

/ال/ /أفاع/

10 9

إن أدنى تأمل في هذا التحليل، يهدي إلى أن الجملة العربية _ نموذج التحليل_ تتكون من عشرة مؤلفات يمكن لنا تنيفها وفق التتابع التالي:

أ_ المؤلفات (1) (2) (3) (6) مؤلفات مباشرة، أي أنها قابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر.
ب_ المؤلفات (4) (5) (7) (8) (9) مؤلفات نهائية أي أنها غير قابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر منها ذات دلالة.
ويمكن لها حينئذ أن تدرج ضمن بناء أكبر.

وتعميقاً لذلك نمثل لهذه الجملة بوساطة ما يسمى عند التوزيعيين بصندوق هوكات.¹

أفاع	ال	فالية	كم	ت	أتى
	الأفاعي	فالية	كم		أنت
		فالية الأفاعي			أنتكم
أنتكم فالية الأفاعي					

فالتمثيل التوزيعي للجملة حسب صندوق هوكات تمثيل تصاعدي، يبدأ من حيث أن ينتهي التحليل إلى مؤلفات، أي ابتداء من العناصر الأولية التي لا تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر، هي المؤلفات النهائية للجملة، ونهاية التحليل بالنسبة لصندوق هوكات هي الجملة بوصفها وحدة لسانية قابلة للتحليل إلى شطرين أساسيين، ينعتان على التوالي بركن فعلي وركن إسمي، أو مسند أو مسند إليه.

وبهذه الطريقة وحدها يمكن للباحث في ميدان اللسانيات ضبط الأشكال اللسانية في أي لغة من اللغات وتصنيفها، لأن النحو حسب هذه المدرسة هو علم تصنيفي غايته ضبط الصيغ الأساسية في اللغة حسب درجة التواتر لا غير.²

5_ الاتجاه التوزيعي:

¹ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 108-109.

² أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 109.

لقد جاء الباحث اللساني بلومفيلد الأمريكي باللسانيات التوزيعية مبينا كيف تتوزع الأشكال اللغوية ضمن مواقعها كتوزيع الصوامت داخل المقطع، واللفظ داخل الكلة والكلمات داخل الجمل، إنها طريقة تعتمد فيما تعتمد عليه على تحليل الحدث الكلامي عند بلومفيلد وفقا لتلك العناصر اللغوية والعملية التوزيعية التي تحدث داخل السياق التركيبي، بعبارة أخرى إن ما يمكن تحديده في الدراسة اللسانية التي توقف عندها بلومفيلد أن "المتكلم عند تلفظه بالحدث الكلامي، فإن ذلك يتم تحت تأثير ظروف معينة (منبه) هذا الأخير يتطلب رد فعل (استجابة) من المخاطب.

لقد كان للنظرية السلوكية الأثر البالغ في الدراسات اللسانية التي سادت في منتصف القرن العشرين، فهي تعد من نظريات علم النفس التي توغلت في جميع الميادين آنذاك، ومن بينها المجال اللساني فأخذت تحلل الأشكال اللغوية كما هي في الواقع اللغوي دون مبالاة بالمعنى المتواري خلف البنية الظاهرة. وقد استقى زعيم هذه النظرية _ كما أسلفنا الذكر _ الباحث اللساني الأمريكي بلومفيلد (1887-1939) أفكاره من (واتسون) مبتدع علم النفس السلوكي والذي يرى هو وتلامذته أن الهدف علميا ومنهجيا في علم النفس لا يتركز على برهنة وجود الفكر أو وجود أي شيء آخر لا يخضع للملاحظة المباشرة، وبهذا فإنه يعزل كل المعطيات التي لا تخضع للملاحظة المباشرة أو ما يسمى بالجانب المادي للظاهرة.

ولقد رأى بلومفيلد أن العلماء في غنى عما يسمى بالذهنية أو العقلية لشرح قدرات الإنسان ونشاطاته، وهذا يعني فيما يعنيه أن اللغة ليست إلا شكلا من أشكال السلوك المرئي فأهمل الجانب الذهني مثل: العقل، التصور، الفكرة وكذا التحليل النفسي الخاضع للاستنباط وأقر بالمنهج الاختياري الذي يقوم على ملاحظة السلوك الخارجي (الظاهر).¹

وفي هذا المقام يورد لنا مثاله المشهور عن (جاك) و(جيل) فيقول ما نصه: « كان (جاك) و(جيل) يسيران في إحدى الطرق فلمحت (جيل) تفاحة على إحدى الأشجار، وبما أنها جائعة فقد طلبت (جاك) أن يأتيها بها، صعد (جاك) إلى الشجرة وقطف التفاحة ثم أعطاها ل (جيل) فأكلتها ». ²

¹ حنفي بناصر، مختار لزرع: اللسانيات منطلقاتها وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية الجزائر، 03، 2009، ص 56-57-58.

² منذر عياشي: النظرية التوليدية ومناهج البحث عند تشومسكي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع40، 1986، ص 33.

لقد فسر بلومفيلد هذه الحادثة بقوله: « إن الجوع عند (جيل) أي تقلصات بعض العضلات في المعدة والتفاحة التي رأتها موجات ضوئية صادرة عن التفاحة قد وقعت على عينها يشكلان المنبه، ورد الفعل المباشر كان يحتم على (جيل) أن تذهب إلى الشجرة بنفسها لقطف التفاحة ولكنها عوضا عن ذلك أحدث رد فعل منبه أخذ شكل متواليه خاصة من الأصوات المصوغه مع موجات الكلام، وكان هذا بمثابة منبه بديل (جاك) الذي اندفع نحو الشجرة كما لو كان هو الجائع الذي رأى التفاحة».¹

وهكذا فإنه يعد التواصل اللغوي نوعا من الاستجابات لمثيرات تقدمها البيئة أو المحيط وقد أسقط تصوراته على الظاهرة اللغوية، فكان حصيلة ذلك كله أن أقر مبدئيا أن الجوانب الدلالية للعناصر اللسانية لا تعدو أن تكون الموقف الذي يقيم فيه المتكلم المستمع المثالي للغة بالإننتاج الفعلي للحدث الكلامي، ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع، ذلك أن المتكلم حين أدائه الفعلي للكلام، قد قام باستجابات نطقية لمثيرات ما تخضع لحافز البيئة أو المحيط، دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأدنى قدر من التفكير إذ أن اللغة في نظر السلوكيين لا تعدو أن تكون "....عادات صوتية يكتفيها حافز البيئة".²

ولكن هذا التحليل يبقى محدودا ولا يمكن تعميمه وتطبيقه على جميع المفردات اللغوية ويمكن الإشارة إلى هذا السياق إلى أن « التفسير السلوكي للدلالة اللسانية قد يكون ناجحا إلى حد ما في تفسير بعض الكلمات ذات الإحالات المحسوسة التي يمكن لنا معاينتها في الواقع اللغوي بناء على مظاهرها الفيزيائية، لكن على الرغم من ذلك سيظل هذا التحليل محدودا، بحيث لا ينطبق على الجانب الاعظم من الكلمات اللغوية، ربما تلك هي المعضلة التي جعلت بلومفيلد يقلل من شأن التحليل الدلالي ويستبعده مؤقتا من منهجه الوصفي باعتبار أن تفسير علمي دقيق للمداولات الأشكال اللسانية يتطلب معرفة بعالم المتكلم».³

ولكنه يعود ليصرح في سياق آخر بأهمية الدراسة الدلالية بقوله: « لكي تقدم تعريفا صحيحا علميا عن معنى كل شكل لغوي، لا بد لنا من أن نملك معرفة صحيحة علمية عما يكون عالم المتكلم، إذ التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية».⁴ وكأنه بهذا التصريح يلغي ما آمن به وحاول تطبيقه منتظرا نتائجه، ومع هذا فقد واصل

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 33.

² أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، م. س، ص 153.

³ المرجع نفسه، ص 153.

⁴ المرجع نفسه، ص 105.

إقصائه للمعنى وتخلي عن التحليل الدلالي في وصف النظام اللساني، ولكن هذا لا يمنع من أن الفضل يرجع إليه في وصف البنية التركيبية وصفا بنيويا تاما من خلال منهج له في التحليل انفرادي به، وأصبح يسمى بمدرسة بلومفيلد أو الاتجاه التوزيعي.¹

تعريف المدرسة التوزيعية:

التوزيعية Distributionalisme:

التوزيع واد من أصول البنيوية يأتي استدراكا على الأصل الذي سبقه (منهج التحليل إلى المكونات المباشرة) وهما أصلا يتمايزان ثم يتكاملان.² يتمايزان من خلال اعتماد الأول الأشكال فقط موضوع الوف التوزيعي، فالشكل وحده استطاع بلومفيلد الوصول إلى قوانين عامة تحكم السلوك اللغوي عند البشر، أما الدلالة فقصر في دراستها واقتصر على دراسة الصورة الصوتية فقط. ويتكاملان بإحداث تطوير أو تحديث على النظرية بحساب عناصر جديدة في التحليل وهي الوظيفة.

فبعد أن تبنى بلومفيلد فكرة السلوكية من علماء النفس وطبقها على التحليل اللغوي تعدها إلى نظرية عميقة، بناها على مفهوم الاستغراق الذي أطلق عليه مصطلح Fonction³ ثم ما لبث عالم اسمه سوداش ممن ساروا بعده باستبدال المصطلح بكلمة Distribution حيث لم يكن المصطلح الأول ليصلح لهذا اللفظ، ولقد أطلق الدارسون على منهج بلومفيلد عددا من التسميات كان أشهرها "التوزيعية" انطلاقا من أن المنهج الأمريكي توزيعي بصفة خاصة، وبنيوي بصفة عامة، أما التسميات الأخرى بنيوي حيث يولد من البنيوية، وشكلي يعتمد الأشكال والصور الخارجية، ومادي يعتبر أن الإنسان (آلة) ويفسر سلوكه وفق مبدأ المثير والاستجابة، وميكانيكي وسلوكي.

استطاع بلومفيلد أن ينمي هذه الاتجاهات، بحيث تصلح كل واحدة أن تدرس بمعزل عن الأخرى دراسة جادة موضوعا للبحث، واستطاع في الوقت نفسه أن يجمع بينهما، ويلحظ أن بلومفيلد استطاع سابقا أن يسقط الجانب العقلي تماما من خلال ما أوضحه في عملية الاكتساب، فالإنسان عنده يسمع كلاما أو يرى شيئا أو يشعر شعورا، فيحدث استجابة كلامية

¹ حنفي بناصر، مختار لزرع: اللسانيات منطلقاتها وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية الجزائر 03، 2009، ص 58-59.

² نهاد موسى، نظرية النحو العربي، ص 28-29.

³ أنظر: عبد الرحمان الحاج صالح، اللسانيات، ج1، ص 57.

دون أن يكون لها علاقة بأي صورة من صور التفكير، فقد حارب بلومفيلد كل من أتى بمصطلحات عقلية، واستعاض عن هذه المصطلحات والتعريفات العقلية للعناصر اللغوية بدراسة سلوك هذه العناصر داخل البنية والمواقع التي تحتلها.¹

يقول خليفة بوجادي متحدثاً عن المدرسة التوزيعية... يطلق هذا الاسم على اتجاه لساني ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي 1930... وكان بلومفيلد زعيم هذا المذهب² في هذا النص استعمل بوجادي ثلاثة مصطلحات هي عنده مترادفة للإشارة إلى هذا الاتجاه اللغوي، فتارة يعبر بمصطلح المدرسة³ وأخرى بمصطلح الاتجاه⁴ وثالثة بالمذهب.

وفي نص آخر يستعمل مصطلحا رابعا فيقول: « ولقد وضع التوزيعيون حدودا لنظريتهم وسعوا إلى مد نطاقها ».⁵ فاستعمل مصطلح النظرية.

2_ نشأة المدرسة التوزيعية:

لئن كان القرن التاسع عشر قد هيمنت عليه اللسانيات التاريخية والمقارنة، فإن القرن العشرين قد سيطرت عليه اللسانيات الوصفية، وقد تطور هذا النمط من اللسانيات الأمريكية اختلفت عن اللسانيات الأوروبية من حيث المنهج المتبع والمادة المدروسة، وذلك لأن المدارس الأوروبية التي أشرنا إليها لم تبدأ من الدرجة الصفر، وإنما من الفكر اللغوي العريق الذي ظهر بظهور الدراسات الإغريقية، واستمر حتى القرن التاسع عشر، حيث ظهرت اللسانيات التاريخية والمقارنة التي اعتنت بدورها باللغات الكلاسيكية قبل اللغات الأوروبية الناشئة، أما اللسانيات الأمريكية المتناثرة في الولايات المتحدة، وذلك خشية انقراض هذه اللغات التي تستعملها في معظم الأحيان مجموعات صغيرة من الناس. وبالفعل فإن هناك لغات انقرضت قبل تسجيلها، وذلك بموت آخر مستعمليها، وهكذا فإن هذه الدراسة تنبني على اللغة المنطوقة وتعتمد على الأشكال اللغوية بعيدة كل البعد عن إقحام المنطق والمعنى في تفسير الظواهر اللغوية، وترتكز على وصف خصوصيات كل لغة على انفراد، أي دراسة كل لغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معين.

¹ عبير منير محمد عبد اللطيف، منهج التحليل إلى المكونات المباشرة مفهومه وأثره في الدراسات الحديثة، رسالة ماجستير، ص 76-77.

² اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات / 76 ، د. خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى 2012.

³ أنظر: السابق / 77 وما بعدها.

⁴ أنظر: السابق / 77 - 93.

⁵ اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، د. خليفة بوجادي، ص 81.

والحق أن هناك ثلاثة باحثين بارزين قاموا بإرساء دعائم اللسانيات الأمريكية وتوجيهها الوجهة التي تعرفها اليوم، هم على التوالي: فرانز بوغز، وإدوارد سابير وليونارد بلومفيلد وسأتوقف عند كل واحد منهم لتوضيح مقارباته ونظرياته وتأصيله المنهج الوصفي وتأثيره على الدراسات اللسانية الحديثة.¹

1_ فرانز بوغز (1858-1942):

كان فرانز بوغز أول من وضع أسس اللسانيات الوصفية في الولايات، وقد ظلت هذه الأسس التي تضمنها كتابه: دليل اللغات الهندية الأمريكية الصادر سنة 1911 مهيمنة على النظرية اللسانية، ولم يثر بشأنها أي جدال حتى سنة 1957م عندما ألف تشومسكي مؤلفه الشهير: البنى التركيبية.

لقد بدأ بوغز دراسته الجامعية طالبا في الفيزياء والجغرافيا، ومن هذه الأخيرة عرف الأنثروبولوجيا وعلم أنها ليست شعبة من الجغرافيا، أي أن ثقافة مجتمع ما ليست مجرد نتاج لإفرازاتها المادية، وأن العلوم الإنسانية تختلف منها ومضمونا عن العلوم الفيزيائية وما أن أدرك بوغز هذه الحقيقة حتى اجتذبه العلوم الإنسانية، ورأى أن اللغة هي أهم مظهر من مظاهر الثقافة، ومن ثمة يجب على الأنثروبولوجي أن يفهمها ويصفها بدقة اللغة، وبين كيف أن نظامها يشكل وحدة متماسكة، فالمجتمع حسب بوغز لا يمكن فهمه من خلال بيئته بل من خلال ثقافته إلا من خلال لغته. وبما أن أغلب اللغات الهندية الأمريكية غير مدونة في الأصل فقد اعتمد بوغز على اللغات المنطوقة وبالضبط على الكلام، وذلك على خلاف دي سوسير الذي اعتمد على اللغة.

وكما قال ليونز: « إن بوغز قد توصل إلى أن درجة التنوع بين اللغات الإنسانية هي أوسع مدى مما يظنه المرء وخاصة إذا ما حاول إرساء قوانين عامة تعتمد على الوصف النحوي الخاص باللغات الأوروبية المألوفة ».

وفي الواقع فإن هذا الباحث قدم خدمة جلية للغات المحلية، ووضع أسس اللسانيات الأمريكية الوصفية.

2_ إدوارد سابير (1884-1939):

¹ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، ص 187-188.

تخصص سابير كغيره من الباحثين الأوروبيين في الدراسات الفيلولوجية، ولكن عندما التقى لأول مرة باللساني الأنثروبولوجي فرانز بوغز سنة 1904م سرعان ما تأثر به، واجتذب المنهج اللساني الأنثروبولوجي، فأتجه إلى الدراسة العقلية وانكب على دراسة اللغات الهندية الأمريكية المنتشرة على طول ساحل المحيط الهادي للولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الواقع لم يكن سابير منشغلا بالأنثروبولوجيا واللسانيات فحسب، بل بالأدب والفن والموسيقى أيضا، ولهذا رأى أنه لا ينبغي فصل الدراسة اللغوية عن دراسة باقي مظاهر السلوك البشري، وعن علم النفس وعلم الاجتماع، وهذا ما جعله يركز كثيرا على الجانب الإنساني للغة وعلى بعدها الثقافي وعلى أسبقية الفكر على الإرادة والأحاسيس.¹

3_ ليونارد بلومفيلد:

على الرغم من المكانة التي حظي بها كل من بوغز وسابير بين الباحثين، فإن اللساني الذي لم يعد اليوم الممثل الرئيسي للمدرسة التوزيعية والذي صبغ اللسانيات الأمريكية بصفة خاصة هو ليونارد بلومفيلد.

بعد دراسة معمقة لتطور الدراسات اللغوية شدد بلومفيلد تشديدا لا مثيل له في تاريخ اللسانيات على جعل دراسة اللغة دراسة علمية ومستقلة، وذهب إلى أن اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي، وقد كان متأثرا في منحاها هذا بواطسون مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس، وحاول على هذا الأساس تفسير الحدث الكلامي من منظور سلوكي بحت رافضا بذلك الدراسة العقلية التي كان هو بالذات من أنصارها.²

3_ خصائص المدرسة التوزيعية:

وعلى العموم يمكن حصر السمات المميزة للمدرسة التوزيعية كما يلي:

1_ ركزت الاهتمام على التركيب الشكلي أو البنية الظاهرة للغة ووصف كثير من اللغات صوتيا وصرفيا وتركيبيا، وتوصلت إلى كشف قواعد وصفية لكل لغة من اللغات الأوروبية الحديثة من خلال الكلام المنطوق في تلك اللغات.

2_ تأثر علماء اللغة في هذه المرحلة بالمذهب السلوكي في علم النفس الذي ساد في أوروبا وفي أمريكا، والذي عني بدراسة ظاهرة السلوك لا غير باعتباره مكونا من عادات مخلفة

¹ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 189-190-192.

² أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 192-193.

(تشير هنا إلى تجارب (ثورندايك) في أمريكا، و(بافلوف) في روسيا، وهكذا نظروا إلى اللغة في هذه الحقبة على أنها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى، ومن هؤلاء العلماء (سكينر skiner) (ت 1980).

3_ رأى السلوكيون اللغة مجموعة من عادات صوتية يكتسبها حافز البيئة وليست عندهم سوى شكل من أشكال الحافز، فالاستجابة للحافز قصة (جاك وجيل).

4_ ركز اللغويون على اللغة المنطوقة وأهملوا اللغة المقيدة (المكتوبة)، واللغة نظام من الأصوات أولاً وهكذا وضعوا كل اهتمامهم في هذا النظام.

5_ اعتمدوا من دراستهم على ظاهرة اللغات، وبرزت الدراسات المقارنة من نوع جديد في المنهج وفي الهدف: تقارن بين لغتين معينتين بحثاً عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينهما في مستويات: الصوت والصرف والتركييب بغية التوصل إلى أنجح الطرق التي تعتمد في تعليم اللغات الأصلية والأجنبية، وهكذا تأسست مدرسة بلومفيلد الأمريكية الذي اهتم فيها بدراسة التركيب الشكلي أو البنية الظاهرة واعتمدت على: ¹

أ_ مفهوم الهيكلية structuralisme : يشير إلى أن دراسة اللغة تنطلق من هيكلها ومن العلاقات التي تربط بين مختلف عناصرها المكونة، لذا أطلق عليهم مصطلح: الهيكليون أو التوزيعيون.

ب_ اللغة: الإنسان يتعلم اللغة بالتقليد، يقلد ما يسمع في بيئته وبأن التقليد يمر بمرحلتين: مرحلة المحاكاة بالأصوات، ومرحلة القياس وهو عملية ذهنية تبدأ آلياً في ذهن الطفل.

6_ اهتمت التوزيعية بتوزيع الكلمات في السياق اللغوي، وتصف اللغة ناظرة إليها على أساس أنها مجرد عادة اجتماعية سلوكية تتعلم عن طريق الخطأ والصواب، وهدف النحو عندها هو حصر التراكييب الرئيسية في لغة ما حسب الاستعمال وتصنيفها، وتستبعد النواحي النفسية والفكرية في تحديد نشاط الإنسان كما لا تعترف بالخطأ، وكل ما يتكلمه الإنسان صحيح نحويًا، لأن اللغة في نظرهم ليست غير الكلام المسموع من قبل المتلفظ به، وينظرون إلى ظاهرة اللغة المنجز فعلاً دون النظر إلى العوامل المتحكمة في تنظيم اللغة لتكون جملاً مفهوماً.²

¹ د. السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007 ص101-102-103.

² د. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الرابعة، 2009 ص33.

4_ منهج الدراسة عند التوزيعيين:

يرتبون دراستهم وفق المراحل التالية:

1_ مرحلة تكوين المدونة أو نص موضوع الدراسة من الأشكال المسموعة التي يسجلها الباحث لمجموعة من الناس المتعلمين بلغة واحدة (المخبرون infromateur) في آلات تسجيل، وقد يكون الباحث دارسا ومخبرا في الوقت نفسه.

2_ تتم الدراسة الصوتية والفونولوجية: يكتب المسموع كتابة صوتية يراعى فيها التنغيم والنبر والقطع، والهدف هو البحث عن الفوارق الصوتية المترابطة لتكوين ثبت للوحدات الصوتية الوظيفية الدنيا (الفونيم)، وإدراجها في نظام صوتي يعكس ويمثل حقيقة اللغة وهي عمدة البحث عنهم.

3_ تدرس الوحدات الصرفية أو الصيغ وتصنف ليصل الباحث في الختام إلى معرفة النظام العام الذي تخضع له اللغة.

4_ يقسمون المدونة في الدراسة التركيبية إلى جمل لدراسة أشكالها، ويحللون عناصرها التي تكونها ليعرفوا كل جزء من أجزاء الكلام، ومحصلة هذه الدراسة في هذا المستوى هي التي تكون النحو (نحو اللغة المدروسة طبعا)، وهو عبارة عن أشكال خاصة باللغة المدرسة وما تعرف به من اطراد وهو الذي ينبغي اعتماده.

غن الإخلال بأية مرحلة من المراحل المذكورة يعرض البحث إلى الرفض، لذا يلح التوزيعيون على احترام هذا المنهج وترتيبه، فلا مجال للخلط بينهما أو عدم الاستعانة ببعضها لإلقاء الضوء في البحث من بعض جوانبه الأخرى.

5_ استفاد بلومفيلد من خصائص المنهج المادي في علم النفس "السلوكية" الذي طوره "واطسون" إذا اطلع على ما قام به واطسون في هذا الصدد من خلال أعمال "فايز" فحاول وضع تعريف للمعنى وحصر الأسس التي تدرس به وأراد الاستعانة بالمنهج السلوكي لدراسة موضوع المعنى دراسة علمية قائمة على أساس تجريبي دون أن يقصد جعل علم اللغة معتمدا على علم آخر، لأنه شدد على جعل الدراسة اللغوية علما مستقلا وهو ما كان واضحا في كتابه "اللغة" "Langague".¹

5_ التحويل عند التوزيعيين:

¹ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 104-105.

وهنا ندرس بمزيد بيان مفهوم التحويل عند التوزيعيين وتحديدًا هاريس، وقبل البدء في ذلك نشير إلى أنه "اجتهد هاريس في أن يجعل العلاقة قوية بين مفهوم التحويل، ومفهوم التوزيع وأن يقوم بتطوير هذه العلاقة دون خروج على الدراسة الشكلية الخاصة للحدث الكلامي.¹

أما عن تعريف التحويل عند هاريس فهو: علاقة تعادل أو تكافئ بين تركيبين أو أكثر من التراكيب المتحققة أو الواقعة التي تمت من قبل، والتي لفصائلها النحوية نفس السياقات التركيبية.²

_ شروط التحويل عند هاريس:

للتحويل من تركيب إلى آخر شروط منها:

1_ أن يشتمل التركيبان على عناصر لغوية متماثلة، فمثلاً يمكن أن يحول التركيب " He met us " إلى " His meeting us " لأن كلا من التركيبين يمكن أن يرد إلى الآخر، على حين أن هناك تحويلات غير قابلة للانعكاس إلا بشروط خاصة، ومن ذلك تحويل المبني للمجهول.³

2_ أن يظل المحتوى الدلالي للتحويلات ثابتاً، وما يمكن تغييره هو الحالة النحوية كتحويل الجملة مثلاً إلى ضميمة اسمية أو القيمة الأسلوبية، كما في التحويل إلى المبني للمجهول مثلاً، وهذا الشرط يخرج من التحويلات تراكيب تشتمل على العناصر اللغوية نفسها، ولكنها تختلف في المحتوى الدلالي، مثل: الأستاذ يحترم الطالب، الطالب يحترم الأستاذ، فكنتا الجملتين تشتملان على نفس العناصر اللغوية ولكنهما تصفان سياقين مختلفين.⁴

3_ أن التركيب الأصلي والمحول عنه لا بد أن يكون أحدهما قادراً على أن يحل محل الآخر.⁵

_ التحويل عند هاريس:

توجد عدة تقسيمات للتحويل بحسب جهة التقسيم، فهناك:

1_ التحويلات المفردة أو البسيطة Unary وهي تحول جملة واحدة إلى جملة أخرى.⁶

¹ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، 38/ وما بعدها.

² السابق، ص 37.

³ السابق، ص 37 وما بعدها.

⁴ السابق، ص 38 وأنظر: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، ص 93.

⁵ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 38.

⁶ السابق نفسه، ص 39.

2_ التحويلات المزدوجة Binary وهي تحول جملتين إلى جملة واحدة، ويرى هاريس أن كل

تحويل لا يمكن رده إلى تحويلين أو أكثر أبسط منه يسمى تحويلا أساسيا Elementary Transformation.¹

وهذه التحويلات الأساسية بدورها تنقسم إلى أربعة أقسام:

1_ تحويل الترتيب البديل Alternative order .

2_ تحويل المبني للمجهول.

3_ تحويل الضم أو الإضافة بإضافة كلمة أو سلسلة من الكلمات في مقدمة من الجملة.

4_ مختلف التحويلات الخاصة بالكلمة المفردة.²

وكذلك هناك تحويلات أخرى، منها:

أ_ تحويل الاسم: بتحويل جملة إلى عبارة اسمية.

ب_ تحويل الصفة: بتحويل الجزء الخبري إلى الصفة.

ج_ تحويل الضمير: باستبدال الضمير المنفصل بالاسم الظاهر.³

_ نقطة البدء في التحليل التحويلي عند هاريس: الجمل الأساسية (النوية):

وهي الجمل التي تعد في رأيه نواة النحو: وهي عنده الجمل التي يوضح تركيبها تراكيب الجمل الأخرى، لكن تركيبها لا يمكن أن توضحه تركيب جمل أخرى، وهذه الجمل بسيطة في الصيغة والمفردات ومستقل بعضها عن بعض إلى أبعد حد ممكن، وعن طريقها يمكن بمساعدة التحويلات أن نحصل على سائر الجمل في اللغة.⁴

وقد قام هاريس بحصر أنماط الجمل الأساسية (النوية) في اللغة الإنجليزية، غير أن

بعض الدارسين العرب ذكر أنها ثمانية أنماط⁵ وبعضهم قال: إنها تسعة عشر.⁶

_ القيمة الأساسية للتحويلات عند هاريس:

¹ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 39.

² السابق نفسه.

³ السابق 35/، وأنظر أيضا ص 93.

⁴ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 40، وأنظر أيضا: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات ص 96، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 291، ما بعدها، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ص 51، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، ص 57.

⁵ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 40.

⁶ أنظر أيضا: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 293.

تتمثل في أنه أصبح من الممكن بمجموعة محدودة من الجمل الأساسية (النوعية) ومجموعة محددة من التحولات اشتقاق كل الجمل الأخرى¹ في اللغة.

6_ موقف التوزيعيين من المعنى:

يقول "محمد عبد العزيز": «التوزيعية التي غطت مواقفها عن دور الدلالة الخاص في اللغويات مدى واسعاً، فقد ترددوا بين الاهتمام بالمعجم والتركيب الدلالي، وبين التعهد بإرجاء الدلالة، وبين إقصائها عن اللغويات تماماً... وكان أمثلهم طريقاً من رأى المعنى طريقاً مختصرة للوصول إلى ما يوصل إليه بتحليل توزيعي.²

في هذا النص أتى محمد عبد العزيز على أربعة مواقف من المعنى هي في جملتها المواقف التي عرفت عند التوزيعيين:

1_ الاهتمام بالمعنى الدلالي.

2_ إرجاء دراسة الدلالة إلى مرحلة لاحقة.

3_ إقصاء الدلالة عن الدرس اللغوي تماماً.

4_ اتخاذ المعنى وسيلة إجرائية للوصول إلى التحليل وليس هدفاً في ذاته.

وتختلف الدراسات العربية في نسبة كل موقف من هذه المواقف إلى صاحبه أو أصحابه من التوزيعيين.

أ_ فعن نسبة الموقف الأول: (الاهتمام بالمعنى ودراسته): يقول خليل عمايرة: «هاريس أقر عند التطبيق بأن المعنى هو الذي يحاول المتكلم وكذلك السامع والمحلل اللغوي أن يصلوا إليه، فهو أمر وثيق الصلة بالتركيب اللغوي، ولا سبيل للتغاضي عنه والاكتفاء بوصف توزيع الفونيمات أو المورفيمات في الجملة، وعلى الرغم من أن هاريس يعد الصلة بين البنية الشكلية للجملة ومعناها صلة وثيقة يترتب فيها الثاني على الأول، وأن المعنى ليس بالعنصر الرئيس في تقسيم الجمل وتوزيع مفرداتها متأثراً بأراء بلومفيلد، على الرغم من ذلك إلا أنه وجد نفسه عند التطبيق يتحدث عن العلاقة الوثيقة بين المعنى في ذهن المتكلم والمورفيمات التي يستعملها، والتركيب الجملي الذي تنتظم فيه هذه المورفيمات انتظاماً توزيعياً.³

¹ مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 41.

² العربية من منظور المنهج التوزيعي، ص 23.

³ في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، ص 50 وما بعدها، وأنظر أيضاً: بنية الجملة العربية وأسس تحليلها في ضوء المنهج التوليدي التحويلي، ص 117.

في هذا النص ينسب عمارة إلى هاريس بدراسة المعنى عند التطبيق في المنهج التوزيعي، وكان عمارة يلمح إلى أن هاريس لم يهتم بالمعنى عند التنظير، ما يعني تناقضا في موقف هاريس من المعنى بين التنظير والتطبيق.

وهذا ما صرح به مصطفى غلفان، حيث قال: « في هذا الصدد قدم بعض الدارسين أمثلة واضحة على بعض التناقضات بين الموقف النظري عند اللسانيين البنيويين (لا سيما عند هاريس) الرافض لإدماج الاعتبارات الدلالية والاستعانة بها، والتحليل الفعلي الذي يتم فيه الرجوع إلى المعنى للوقوف على حقيقة البنيات الصوتية والصرفية والتركيبية، ولتحديد الوحدات الصرفية وتقسيمها لا يمكن الاستغناء عن المعنى لتقرير مدى سلامة التقطيع المقترح توزيعيا...¹

يلاحظ من كلام غلفان أن غير (هاريس) من التوزيعيين اتخذ الموقف نفسه من المعنى حيث اهتم به عند التطبيق، ومن هؤلاء سايبير، فيذكر غلفان أنه: « قد حفلت أعمال سايبير وورف اللسانية باهتمام واضح بدراسة المعنى اللغوي في ارتباطه بقضايا وإشكالات معقدة مثل ربط اللغة بإطارها الاجتماعي والنفسي والثقافي ». ² وسايبر كما سبق هو أحد رواد الاتجاه التوزيعي ورموزه.

ب_ وعن نسبة الموقف الثاني (إرجاء دراسة الدلالة): تقول الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي: « ويذهب بلومفيلد إلى أبعد من ذلك إذ يؤكد على صعوبة الإحاطة بالدلالات اللغوية لأنها نتاج حضارة تتدخل في تحديدها كل المعارف فهي أكبر مما تحصص في مجال الدراسات اللغوية وحدها. ففي نظره لكي يتسنى لنا تحديد دلالة صيغة لغوية معينة تحديدا علميا دقيقا لا بد من معرفة علمية حقيقية بكل ما يشكل عالم المتكلم، بيد أن المعرفة البشرية محدودة اليوم إذا ما قورنت بسعة هذا العالم، وما دامت معارفنا اليوم لم تصل إلى مستوى يسمح لها بالاضطلاع على هذه السعة، فإنه من المستحسن أن نرجئ دراسة المعنى إلى مرحلة لاحقة ». ³ يحصل فيها أن تمتلك الأدوات اللازمة لذلك. ⁴

إن في هذين النصين نسبت أ. خولة الموقف الثاني من المعنى إلى بلومفيلد.

¹ اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 393/ وأنظر أيضا 394 وما بعدها.

² السابق، ص 73.

³ مبادئ في اللسانيات /119، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 2006.

⁴ السابق، 120.

ج_ وعن نسبة الموقف الثالث: (إقصاء الدلالة تماما عن الدرس اللغوي): يقول د. خليل عميرة في حديثه عن بلومفيلد: « اللغة عنده سلسلة من الاستجابات الكلامية لحوافز ليست ميدان بحث الباحث اللغوي، إنما ميدانه الحقيقي هو دراسة التصرف الكلامي ليس غير، يصف ما فيه من فونيمات ومورفيمات توزع في إطار جملي، وبهذا فإنه يتجنب الخوض في المعنى الدلالي للنص اللغوي المدروس»¹.

إذن ينسب عميرة الموقف الثالث إلى بلومفيلد، وهو نفسه من نسبت إليه أ. خولة الموقف الثاني قبل قليل.

ويعبر خليفة بوجادي عن هذا الاضطراب في تحديد موقف بلومفيلد من المعنى بقوله: «بلومفيلد غير واضح الموقف اتجاه المعنى، فتارة يجعله من اللغة، ومرة يجعله خارج الميدان اللساني»².

على أن أ. خولة نسبت هذا الموقف الثالث (إقصاء الدلالة من الدرس اللغوي) إلى تلاميذ بلومفيلد بعد أن نسبت إليه الموقف الثاني (إرجاء دراسة الدلالة إلى مرحلة لاحقة) فتقول: « وقد جاوزه تلامذته من اللغويين التوزيعيين إلى أن تحاشوا الاعتماد على المعنى وأبعدوه تماما عن دائرة اهتمامهم»³.

على أن بعض الدراسات نسبت الموقف الثالث نفسه إلى الاتجاه التوزيعي على إطلاقه وليس إلى بلومفيلد فقط أو تلاميذه⁴.

د_ أما عن نسبة الموقف الرابع (اتخاذ المعنى وسيلة إجرائية للوصول إلى التحليل وليس هدفا في ذاته): فيقول مصطفى غلفان: « إن التوزيعيين لا يعتمدون المعنى في وصف البنيات اللغوية إلا من حيث إنه وسيلة تقنية وإجرائية وليس باعتباره هدفا في ذاته»⁵.

ويلاحظ أن غلفان أطلق في نسبة هذا الموقف إلى التوزيعيين ولم يعين مما سبق كله يتبين إلى أي حد وصل الاختلاف في الدراسات العربية في بيان موقف التوزيعيين من المعنى.

المبحث الثالث: أعلام المدرسة التوزيعية:

¹ في نمو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ص48، وأنظر أيضا: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 346.
² اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات حاشية (1) من78، وأنظر أيضا: بنية الجملة العربية وأسس تحليلها في ضوء المنهج التوليدي التحليلي، ص 114 وما بعدها.
³ مبادئ في اللسانيات، ص 119.
⁴ أنظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص 32، أضواء الدراسات اللغوية المعاصرة 111/ 124 /133 /289 /32.
⁵ اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 392، وما بعدها، وأنظر ص 395.

1_ ليونارد بلومفيلد: [1887-1949]:

ولد ليونارد بلومفيلد في شيكاغو عام 1887م تلقى علومه الجامعية في (هارفارد) حيث انصرف إلى التخصص في اللغة الألمانية¹ بجامعة فيسكونسين بوصفه أستاذا مساعدا، وبعدها انتقل إلى جامعة شيكاغو أين حصل على الدكتوراه في عام 1909م، وقد هاجر إلى أوروبا ومكث بها عاما كاملا، حيث تابع في لبيزيغ وغوتينغن درس الفيلولوجيا الجرمانية في جامعات عديدة بالغرب الأوسط من الولايات المتحدة الأمريكية، وأخذ على عاتقه دراسات اللغات الهندية الأمريكية الألفونقوية وبعض اللغات الهندية الأخرى المنتشرة في جزر الفيليبين.

ومع مرور الزمن أصبح بلومفيلد يعتني أكثر فأكثر باللسانيات الوصفية والبنوية وذهب إلى أن الدراسة اللغوية التقليدية التي ظهرت قبل اللسانيات التاريخية تعد دراسة غير علمية، لأنها استدلالية ومعيارية، وأكد على أن دراسة اللغة يجب أن تكون وصفية واستقرائية. وفي سنة 1914 ألف بلومفيلد كتابا بعنوان "مدخل إلى دراسة اللغة" وقام بمراجعته وإخراجه تحت عنوان "اللغة" "Langue" سنة 1933م بعدما تشبع بمبادئ السلوكية، وبالفعل لقد أعلن بلومفيلد عن التزامه بهذا المذهب بعدة إطارا نموذجيا لوصف اللغة، ونظرا لأهمية هذا الكتاب الذي يعد مصدرا أساسيا في اللسانيات الوصفية، فقد أطلق عليه الأخصائيون اسم إنجيل اللسانيات الأمريكية².

يعد بلومفيلد مؤسسا حقيقيا لمدرسة لغوية هي مدرسة (بيل) تدعى (مدرسة علماء اللغة الوصفيين) التي ترمي إلى وصف اللغة وتجعل هذا الوصف في بؤرة بحثها.

وهو صاحب اتجاه لساني مناقض لاتجاه (إدوارد سابير) يدعى اللسانيات السلوكية فإذا كان هذا الأخير يفسر الظواهر النفسية انطلاقا من دراسة النشاط الذهني، فإن بلومفيلد يفسر الظواهر اللغوية بالاتكاء على تحليل السلوك الذي هو ردة فعل نحو موقف ما، يطلق عليه اسم المثير، وهذا يؤدي إلى استجابة لهذا المثير، ومن ثم لا يعد التواصل اللساني أكثر من

¹ د. عاطف فضل مقدمة في اللسانيات، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005م، ص 76.
² أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص 192-193.

استجابة ما لمثير ما فهو يقف في طرف مقابل لاتجاه (سابير) الذهني، وإن كانا يكمل أحدهما الآخر في مقارنة الدرس اللساني.¹

1_2_ بلومفيلد ونظريته اللغوية:

1_ ينظر بلومفيلد إلى الوحدات في التركيب الأفقي على أساس أنها قطع من المكونات أو الوحدات لكل منها موقع أو نقطة محددة، ولها اسم مميز لها، فمثلا في جملة: الورد جميل يفتح أوراقه، ترى أن كلمة (الورد) شغلت موقع المبتدأ وسميت اسما، و(الجميل) شغلت موقع الصفة وسميت صفة، و(يفتح أوراقه) شغلت موقع الخبر وسميت فعلا وهكذا... ومعنى هذا أن السلسلة الكلامية يمكن أن تجزأ إلى وحدات مستقلة على نحو ما يجري في القواعد التقليدية، وبذلك يكون المنهج البلومفيلدي متسما بشيء من العمق والشمولية، لأنه بالإضافة إلى هذا التقطيع يعمد إلى بيان الأجناس الكلامية التي يصح أن تقع في هذه المواقع المحددة ووفقا لهذا يمكن تحديد أصناف العناصر اللغوية التي تدخل في هذه الفئة أو تلك وهي أسماء وأفعال وصفات وأدوات بمعنى آخر يمكن التعرف على أصناف وأجناس الكلم عن طريق توزيعها في السلسلة الكلامية، ومن هنا سمي هذا بالمنهج التوزيعي.

2_ ينظر بلومفيلد إلى اللغة على أنها مادة كأي أحداث فعلية، وليست هيكلًا أو مجموعة من النظم التجريدية، وركز في دراسة العلاقات بين هذه الوحدات المادية على الفونولوجيا أولا ثم الصرف والنحو، وقد عني بلومفيلد بالكلام على النقيض من سوسير الذي عني باللذة حيث انحصر عمله في اللغة من ناحيتها المادية أي الأحداث الفعلية الواقعة أو الكلام لذلك عرفت نظريته أحيانا بالنظرية المادية.

3_ يرى بلومفيلد وأنصاره من بعده إخراج المعنى من الحسابان أو التحليل اللغوي على أي مستوى من المستويات، وذلك يرجع في رأيه إلى صعوبة التعرف على المعنى بدقة إذ إن ذلك يقتضي المعرفة الدقيقة لكل ما يجري في المجتمع المعين من خبرات وحرف وصنائع وهذا أشبه بالمستحيل، وبناء على هذا المنهج فهو ينظر إلى الأحداث اللغوية على أنها جزء من موقف أو إطار جزؤه الأول الدافع والمثير، والثاني المنطوق نفسه، والثالث رد الفعل أو الاستجابة العملية.

¹ وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2019م، ص 131.

4_ أصر بلومفيلد على رفض الاصطلاحات العقلية، وموقفه في الأساس كان رفضاً لما عدة محاولات تبسيطية مفرطة لتوضيح الاستخدام اللغوي، فقد رأى أن علماء اللغة وفي أوروبا خاصة أنهم عقلانيون يبحثون في أعمالهم اللغوية عن توضيح للاستخدام اللغوي الذي يحتكم إلى أغراض مستخدمي اللغة واعتقاداتهم وتوقعاتهم.¹

ويقترح بدلاً من هذا التوجه العقلي، والذي يراه منهجا غير علمي لتوضيح اللغة ما سماه بالرؤية الآلية في توضيح اللغة، فيقول (يعد عالم اللغة ذو التوجه العقلي للغة تعبيراً عن الأفكار، أما عالم اللغة ذو التوجه الآلي، فإنه لا يقبل بهذا الحل، حيث إنه يعتقد أن الانطباعات العقلية والمشاعر وما شبهها لا تعدو أن تكون اصطلاحات سائغة لحركات جسمية متنوعة).

5_ تفسيره لعلم اللغة: كان تفسيره هو الطاعني على مواقف وجهات نظر معظم الجهود في علم اللغة الأمريكي في الثلاثينيات والأربعينيات، وذلك لمكانة كتابه (اللغة) بوصفه كتاباً دراسياً للطلبة، وأصبحت الأعمال التي أنجزت في تلك الفترة مجرد توضيح أو تطوير لبعض الأفكار والمقترحات التي عبر عنها بلومفيلد.

وأصبحت هذه الفترة تعرف بالفترة البلومفيلدية، وعلم اللغة عند بلومفيلد يمكن تناوله باعتباره وحدة، ولأن علم اللغة في تلك الفترة (1933-1957) كان فرعاً معرفياً مستقلاً بذاته وتأثيرات بلومفيلد كانت تلمس عند المجتمع العلمي في الدراسات اللغوية.

أح بلومفيلد على التركيز على التحليل الشكلي عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعي، والوحدتان الأساسيتان للوصف هما الفونيم الذي توسع فيما بعد ليشمل كل الظواهر الصوتية المميزة. والمورفيم وهو الوحدة الصغرى للتركيب القواعدي، أما التحليل القواعدي فحذا حذو المنهج الفونولوجي، والفونولوجيا أصبحت هي القدوة في عهد بلومفيلد فيما يتعلق بالنظرية الوصفية والمنهجية.

وقد كرّس بلومفيلد غايته للتعريف الشكلي للكلمة، بوصفها وحدة قواعدية وأقام بلومفيلد تمييزاً أساسياً بين التراكيب المركزية والتراكيب اللامركزية، فيما كان التركيب نفسه بشكل عام مشابهاً أو غير مشابه نحوياً لأي من مكوناته المباشرة.²

2_ زليج سابيتي هاريس [1909-1992]:

¹ د. عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، الجامعة الهاشمية، 2005، ص 170-171-172.
² السابق، ص 174.

زليج هاريس روسي المولد، فقد ولد سنة (1909م) في مدينة بالتا الواقعة جنوب غرب أوكرانيا، ثم قصد مع أسرته الولايات المتحدة الأمريكية سنة (1913م) وله من العمر أربع سنوات، تخرج في جامعة بنسلفانيا سنة (1930م) يحمل درجة الإجازة، ثم حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه، بين أعوام (1934-193) وغدا أستاذا مساعدا ابتداء من عام (1938م) ثم أستاذ علم اللغة التحليلي سنة 1947م.

عرفت عنه كثرة النشر والكتابة المنتظمتان، ولكن نتاجه العملي كان ضعيف الصدى لدى القراء، ذلك أن نتاجه لم يحظ في أوروبا وأمريكا بتقارير كان أن تثير الرغبة في مطالعة شاملة لمذهبه العام".

وشهر هاريس أيضا بجدية التفكير والثبات الواضح على الأفكار التي كان يؤمن بها وبالرزانة العلمية كذلك.

يعد هاريس مؤسس علم اللغة الوصفي التقليدي ذلك أن كتابه مناهج في علم اللغة البنيوي هو الكتاب المقدس لهذه المدرسة.

ترك آثارا عدة منها: رسالة للماجستير بعنوان (نشأة الأبجدية) وبحثه للدكتوراه الذي يحمل عنوان (نحو اللغة الفينيقية) وآخرها كتابه (نظرية اللغة والمعلومات منهج رياضي).

إن وجهة نظر هاريس فيما يخص (علم اللغة الوصفي) ليست في إبداع نظرية لغوية من فراغ، بل على الأرجح في تطوير مناهج لوصف اللغات، ويكون ذلك إجرائيا على عينة لغوية عشوائية غير منقاة بشرط أن تجري ذلك بحسب خطوات معينة بدقة بوصف هذا الإجراء اتجاها خوارزميا وأسلوبا حسابيا ميدانه علم اللغة والأصوات، وقصده بسط قضية لغوية ما وفق نقاط متسلسلة على غرار الجداول الرياضية المستعملة في الحاسبات الإلكترونية وأخص ما يكون هذا في النحو التوليدي، وهو ما عرف بالمعيار التوزيعي الذي يؤسس على استبعاد المعنى، والاقتصار على توزيع الوحدات اللغوية من مورفيمات، وفونيمات توزيعا شكليا فحسب.¹

2_2_ هاريس والنظرية التوزيعية:

يعد هاريس أول عالم لساني عربي سعى إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب في كتاب ألفه سنة 1952م بعنوان: "تحليل الخطاب" وهو كما يقول اللسانيون أول

¹ وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، دار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2019م، ص 139-140.

من استعمال مصطلح "تحليل الخطاب" ويعد هذا نقلة نوعية في الدراسات اللسانية الغربية آنئذ، أي قبل 55 سنة فقط.¹

لقد أفاد هاريس من هذه النظرية، إلا أنه لم يلتزم بها وفي كتابه تحليل الخطاب أوضح أن في كل لغة مجموعة من الصيغ الصرفية، وأن مفردات اللغة إما أن تنتسب إلى هذه الصيغة، أو تلك، فثمة فعل واسم وحرف ووصف وظرف الخ، ولا يمكن لأي من هذه الصيغ أن تحل مكان الأخرى، فأنت تستطيع أن تقول The boy drank the milk ولا تستطيع أن تقول The boy child the milk لأن كلمة child لا تحل مكان الفعل، ولكنك تستطيع أن تقول:

_The child drank the milk

_ The man drank the milk

_The girl drank the milk

_The dog drank the milk

وهذا يعني أن الكلمات التي احتلت الرتبة الثانية بعد المعرف تنتمي كلها إلى صنف صيغة واحدة، والآن تأمل الجمل الآتية، وتنبه إلى العناصر المطبوعة بالأحرف السود العريضة:

_He went to the city in a car

_ He went to the city on a car

_ He went to the city by a car

صحة هذه العبارات نحويًا ومعنويًا يعني أن الحروف الثلاثة in , on, by تنتمي هي الأخرى إلى خانة توزيعية واحدة، وعلى صنف صيغة واحدة، وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الفكرة، أمكن استنتاج موقف نحوي هو الذي يتحكم بتركيب الجمل في اللغات جملًا تقريبًا وأن بالإمكان تحويل الجمل اللامتناهية العدد إلى أبنية ذهنية مجردة محدودة العدد جدًا من نوع $vp + art + np + ont + np = s$ أو العكس $art + np + aux + v + art + np = s$.²

والمتكلم الذي اختزن في عقله البني ما عليه إلا أن يملأ كل رمز (خانة) بصنف الصيغة التي تناسبه، ونبه هاريس في حديثه عن ركني الجملة: الخطي والرأسي إلى ضرورة أن

¹ د. بشير إبرير، رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2009، ص 91.

² إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2007، 1427 الطبعة الثانية 2009-1430، ص 88-89.

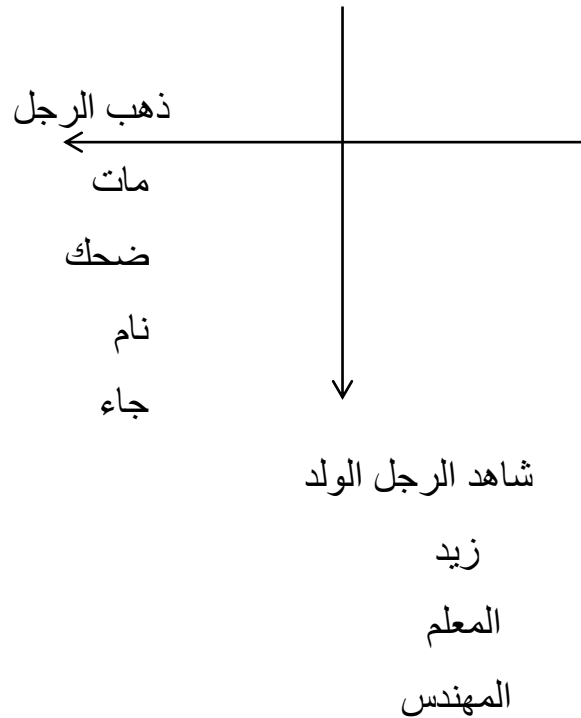
يراعي المتكلم ما يتطلبه أي تعديل في استخدام الصيغ، فعلى سبيل المثال إذا نحن استبدلنا الضمير بالاسم الظاهر في جملة معينة، وهو من صنف الصيغة التي تتبادل الموقع الاسمي فإن ذلك الاستبدال، وهو الركن الرأسي يتطلب أن يعاد النظر في العناصر التي كانت قد اتخذت ترتيبها في الركن الخطي، وقد يضطر لتغيير بعضها مثلما نرى في المثال الآتي:

_John is looking far his glasses

_I am looking for my glasses

_They are lookin the their glasses

نلاحظ في الأمثلة الثلاثة اختلاف الفعل المساعد على وفق اختلاف الفاعل (المبتدأ) وكذلك اختلف مورفيم الملكية على وفق الاختلاف ذاته، أي أن تغيير وفق عناصر الركن الخطي (محور المجاورة)، يستتبع تغييرا في العناصر المؤلفة للركن الرأسي (محور الاستبدال) والرسم الآتي يوضح ذلك: ¹



كل العناصر التي تتألف منها جملة شاهد الرجل الولد منظومة وفقا للتوزيع الذي أشرنا إليه (فعل + معرف: ال + اسم: رجل + معرف: ال + اسم: ولد) وانتظام هذه السلسلة هو ما

¹ السابق، ص 90.

عناه بالركن الخطي أو محور المجاورة، ولكن إذا نظرنا وفقاً لاتجاه السهم إلى الأسفل لاحظنا أن بالإمكان وضع: زيد: ال+ معلم وال+ مهندس، مكان الرجل ولحسن الحظ أن هذا الاستبدال لم يتطلب أي تغيير في العناصر المنظومة في الخط الركني (المجاورة) ولكن لننظر في هذا المثال:

_ الطفل يشرب اللبن.

_ هي تشرب.

_ هما يشربان.

_ هم يشربون.

_ هن يشربن.

ففي الأمثلة المذكورة يتضح أن اللجوء إلى ضمير المؤنثة في الثانية تطلب تأنيث الفعل بإضافة تاء في أوله، ولو شاء المتكلم أن يقول هي يشرب، لبادرنا على الفور لتخطئته، والمثال الثالث أبدل فيه ضمير المؤنثة من المثنى فحق أن تلحق بالفعل ألف التثنية والنون ولو أراد المتكلم أن يقول هما يشرب اللبن لبادرنا لتخطئته مثلما هي الحال في المثال السابق وبناء على ما سبق لا بد من الاعتراف بصحة ما ذهب إليه هاريس من تلازم المحورين: المجاورة والاستبدال، ويظهر هذا بوضوح في البناء للمجهول، فنحن نقول في المبني

للمعلوم: ¹The man will hit the ball

ونقلو في المبني للمجهول

The ball will be hitten by the man فاختيار المتكلم لصيغة البناء للمجهول جعلته بعيد النظر في العناصر المكونة للركن الخطي، فقدم وأخر وزاد الفعل المساعد be وجعل الفعل hit متحدا مع المورفيم en وزاد في الجملة مورفيم by وهو كحرف الجر في المعنى.²

¹ السابق، ص 90 – 91.
² إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى 2010، 143، الطبعة الثانية، 2014، 1435، ص 195.

المحاضرة الثامنة: المدرسة التوليدية التحويلية

تمهيد:

تعد المدرسة التوليدية التحويلية من أهم المدراس التي حازت على انتشار واسع بين المدارس اللغوية، وتصدرت مكانة عالية بين المدارس الحديثة، كونها تهتم بالجانب التحليلي والوصفي، في حالة جدية لتقديم صورة واضحة وشاملة عن بنية اللغة وميزاتها الإنسانية.

1- التوليد: يدل مصطلح التوليد على " الجانب الإبداعي في اللغة، أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين و فهم عدد لامتناه من الجمل في لغته الأم بما فيها الجمل التي لم يسمعا من قبل و كل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معنية"¹و قد أولى تشومسكي هذه القدرة الإبداعية اهتماما كبيرا، و أكد على أن النظرية النحوية لا بد أن تعكس قدرة جميع المتكلمين باللغة و النحو التوليدي في نظره لا بد أن يولد كل الجمل النحوية في اللغة أي أننا باتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة.

2- التحويل: يقوم مبدأ التحويل على " تحويل جملة إلى أخرى متى تقاربت معانيها و إن اختلفت مبانيها فعبارة " كتب الدرس" مثلا تعتبر تحويلا للعبارة المشابهة معنى المخالفة مبني وهي " كتب الولد الدرس" و هناك قواعد متكاملة وضعها تشومسكي و أتباعه لتحويل الجمل من معلوم إلى مجهول ومن تقرير إلى استفهام أو نفي وما شابه ذلك"².

يقوم مفهوم التحويل على الملاحظة التالية، توجد في اللغة جمل يرتبط بعضها ببعض بصورة وثيقة ولا يمكننا من خلال دراسة عناصرها فقط أن نلاحظ الصلة القائمة بينها لناخذ الجمل التالية: أكل الرجل التفاحة ، الرجل أكل التفاحة ، التفاحة أكلها الرجل .ولكي نفسر العلاقة القائمة بين هذه الجمل لا بد لنا من مفهوم يتيح لنا أن نبحت في علاقة الجمل بعضها ببعض ويسمح بأن نعيد تركيب عناصرها.

¹- أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3 ، الجزائر، 2002، ص 206.
²- محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة، ط1، جدة، المملكة العربية السعودية، 1976م ، ص 10-09.

ثانيا: تعريف المدرسة التوليدية التحويلية ونشأتها:

ظهرت النظرية التوليدية التحويلية عام 1957 في الولايات المتحدة الامريكية، حيث بلور أفكارها تشومسكي في كتابه " البنى التركيبية" .قد ركز فيها على قواعد التوليد و التحويل في الجمل لهذا سميت: " بالنظرية التوليدية التحويلية"¹ .

تعد هذه النظرية نظرية نحوية حديثة، ترى بأن القدرة اللغوية عنصر فطري يولد الإنسان مزودا به. فقد تأثر تشومسكي بسابقه أمثال " ديكارت" و " هامبولت" ذوي النزعة العقلية.

إذ تنظر إلى اللغة بأنها قابعة في الذهن البشري على شكل نظام ومجموعة من العلامات والرموز، تتميز بخصائص صوتية وتركيبية ودلالية. وهذا يكون لنا مجموعة غير متناهية من الجمل. " فهذه النظرية تنظر إلى اللغة الصوتية بأنها قائمة في العقل الإنساني في شكل نظام يميز الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية لمجموعة غير متناهية من الجمل المحتملة"².

ثالثا: ترجمة حياة تشومسكي، فودور، كاتس:

1- نعوم تشومسكي:

أفرايم نعوم تشومسكي هو لسانى أمريكي من عائلة روسية إسرائيلية متطرفة في أفكارها السياسية، ولد في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية في 07 ديسمبر 1928م، ودرس بجامعة بنسلفانيا الفلسفة، و اللسانيات، و الرياضيات ، و حصل على الماجستير في " علم الفونيمات الصرفي للعبرية الحديثة " في عام 1955، و يعد هذا التحصيل الأكاديمي، عُيّن أستاذا لللسانيات بمعهد ماساتشوست التكنولوجي أين تدرس الرياضيات و المنطق، و اللسانيات و علم النفس و الترجمة الآلية و غيرها من الفروع التي تساعد على النضج الفكري، و مازال يشغل هذا المنصب إلى يومنا هذا³.

¹ - ينظر: خالد عبد الرزاق السيد، اللغة بين النظرية و التطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، (د ط)، مصر، 2003، ص 142.

² - ينظر: خالد عبد الرزاق السيد، اللغة بين النظرية و التطبيق، المرجع السابق، ص 142.

³ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، بن عكنون، الجزائر، 2002، ص 202.

و بما أن تشومسكي قد تتلمذ على يد هاريس الذي يُعدّ قطبا من أقطاب المدرسة الوصفية فهو في الحقيقة نتاج وسط بلومفيلدي، و لكنه خالف كما خالف أستاذه في الأخير المنهج الوصفي، وتبنى فكرته الجديدة في التحويل، و آرائه السياسية الراديكالية. ومن جهة أخرى، فقد تأثر تشومسكي كثيرا بفكر جاكبسون الذي كان ينادي بوجود كليات فونولوجية في جميع اللغات، و يعتقد أن ثمة كليات او عموميات لغوية على مستويات أخرى من التركيب اللغوي التي هي في أمس الحاجة إلى البلورة و التطوير. ومن هاتين الفكرتين انطلق تشومسكي في تجسيد منهجه الجديد، و بناء نظرية أكثر نفاذا ورواجا من النظريات اللسانية الأخرى، معتبرا موقع التركيب من اللغة بمثابة القلب من جسم الإنسان¹.

2- فودور:

جيرى فودور هو فيلسوف و باحث أمريكي في مجال العلوم الاستعرافية، ولد في مدينة نيويورك في 22 أبريل 1935م ، و تلقى تعليمه الجامعي في جامعة كولومبيا، ثم تخصص في جامعة برنستون و حاز على الدكتوراة سنة 1960 تحت إشراف هيلاري بوتنام، شغل فودور منصب بروفييسور للفلسفة في معهد ماساتشوستس للتقنية من سنة 1961 حتى 1986، وفي جامعة مدينة نيويورك بين سنتي 1986 و 1988، ومن سنة 1988 درس الفلسفة في جامعة روتجرز²، وهو الآن بروفييسور متقاعد، و يعرف بأرائه في مجال فلسفة العقل، حيث طرح فرضية لغة الفكر، كما صاغ مع بوتنام مفهوم الوظائفية.

3- كاتس: هو أستاذ جامعي أمريكي وإسرائيلي، ولد في 21 مايو 1926م في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، عالم الاجتماع الأمريكي الذي ساهم بشكل كبير في دراسة الاتصال الجماهيري. من أبرز أعماله تشمل البحث في مواضيع مثل تقاطع التواصل الجماعي والعلاقات الشخصية والتأثيرات الإعلامية، التحق كاتس بجامعة كولومبيا في مدينة نيويورك، حيث درس علم الاجتماع وحصل على درجة البكالوريوس عام 1948، ودرجة (MA) عام 1950 ، و درجة الدكتوراة عام 1956 ، بينما كان يعمل جنبا إلى جنب

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، المرجع السابق، ص 202.

² -Norfleet phil« consciousness » concepts of jerry fodor” , Academic studies of human consciousness consciousness 2007 Tripod.com. march 2010 على 03 ديسمبر 2017 نسخة محفوظة
مواقع واي باك مشين.

مع معلمه، بول لازارسفيلد، لكتابة التأثير الشخصي: الجزء الذي يلعبه الناس في تدفق الاتصالات الجماهيرية 1955¹.

ثالثاً: عناصر التحويل :

نستطيع أن نعرف عملية التحويل بأنها: التغيرات التي يدخلها المتكلم و المستمع على البنيات العميقة المولدة من أصل المعنى، فينقلها إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام²، و يتبدى التحويل السطحي في رأي بعض الباحثين³ في أربعة أقسام: التحويل بالترتيب، و التحويل بالزيادة، و التحويل بالحذف، و التحويل بالاستبدال، و نجد باحثين آخرين يضيفون إليها عناصر النبر، و التنغيم، و الحركة الإعرابية، و بذلك تصبح عناصر التحويل كالآتي⁴: الترتيب، و الزيادة و الحذف و الحركة الإعرابية، و النبر و التنغيم، و الاستبدال، و فيما يأتي نستعرض هذه العناصر بشيء من التفصيل:

أ- الترتيب: وهو نقل كلمة من موقع أصل لها، إلى موقع جديد مغيرا بذلك نمط الجملة، وناقلا معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة⁵، فنقول: خرج القاضي من المحكمة مسرعا، أو مسرعا خرج القاضي من المحكمة.

ب- الزيادة: ما يضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبر عنها النحاة بالفضلات، أو التتمات، أو غير ذلك، و يعبر عنها البلاغيون بالقيد، يضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى⁶، فنقول مثلا: (محمدٌ رسولٌ) وإذا أردنا أن نؤكد الخبر فنقول: (إن محمداً رسولٌ)، و إذا قصدنا زيادة في التأكيد قلنا: (إن محمداً لرسولٌ) و تكون الزيادة في أول الجملة، أو في وسطها، أو في آخرها.

ت- الحذف: في هذا النوع من التحويل يتم حذف أحد عناصر الجملة لغرض من الأغراض الدلالية من غير أن يترك ذلك الحذف أي خلل في الجملة، فنقول مثلا: (كسر

1- كاتس: المكتبة الوطنية الفرنسية <http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb1219-3821C> تاريخ الإطلاع: 10 أكتوبر 2015، الرخصة: رخصة حرة.

2- ينظر: محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط) 1980، ص 81.

3- ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2008م، ص 54.

4- ينظر: خليل عمارة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، الزرقاء، ط1، الأردن، 1987م، ص 44.

5- ينظر: خليل عمارة، في نحو اللغة و تركيبها، عالم المعرفة للنشر، ط1، السعودية، 1984م، ص 93 .

6- المرجع نفسه ، ص 96.

محمدُ الزجاج) وبتحويلها إلى صيغة البناء للمجهول يحذف الفاعل وتصبح الجملة (كُسِرَ
الزجاجُ)

ث- النبر والتنغيم: وهذان عنصران صوتيان لاعلاقة لهما بالنحو، تأثيرهما التحويلي صوتي لانحوي، ويتم بالضغط على بعض الحروف أو على بعض الكلمات لإظهارها على بقية كلمات الجملة، ولا يكون التنغيم في الجمل إلا لمعنى يريده المتكلم¹، وهو مما يحمل من قبل تشومسكي على الفونولوجيا التطريزية، و البروسودية.

ج- الإحلال (الاستبدال): كأن تجعل ضميرا محل اسم ظاهرة نحو قولك (قرأت
المجلة) فإذا قدمت الجملة قلت (المجلة قرأتها) فيكون الضمير المتصل(ها) محل الاسم
الظاهر المقدم.

ح- الحركة الإعرابية: و تكون ذات قيمة دلالية كبيرة، وبها يتم تحويل الجملة التوليدية من أصل افتراضي كانت عليه للإخبار و حركته حركة الرفع، إلى جملة تحويلية ذات معنى آخر، و هذا يكون في جملة التحذير و الإغراء، و التخصيص، و بعض الأنماط الانفعالية الإفصاحية، فإذا قال المتكلم: (الأسدُ) بالضممة فإنّ السامع يدرك أن المتكلم أراد الإخبار، ولكنه إذا قال: (الاسدُ) بالفتحة، فإن المعنى يتغير إلى التحذير و هكذا..... إن ما نودُّ أن نوّكده هنا أن عناصر التحويل السابقة تؤدي معنى جديدا في الجملة التحويلية، لم يكن ليتأتى لولا هذه التغييرات التي طرأت على جملة الأصل، و بالتالي فإن المعنى الجديد غير متحصل في الجملة التوليدية (البنية العميقة) و نشير هنا إلى قضية أساسية في نظرية تشومسكي وهي ضرورة أن تكون الجملة التحويلية (البنية السطحية) موافقة للأصول اللغوية (جملة أصولية)²، ونقصد بذلك أن يكون للجملة بعد التحويل نظير فيما نطق به ابن اللغة، فلوقال القائل: محمدٌ بلّغ الرسالة أو بلّغ الرسالة محمد أو الرسالة محمدٌ بلّغ، فإن لكل معناها العميق الذي في نفس المتكلم و يفهمه السامع، أما قوله محمد الرسالة بلغ فلا تُعدُّ جملة، لأنها لا تحقق القياس اللغوي فتردُّ، لأنه لم يرد في لسان العرب نظير لها³.

1- ينظر: أحمد كاظم العتايي، رؤية في المنهج التوليدي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، العدد2، جامعة واسط، ص47.
2- ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية للدراسات، ط2، بيروت، 1982م، ص9.
3- ينظر: خليل عمارة، في نحو اللغة و تراكيبيها، عالم المعرفة للنشر، ط1، السعودية، 1984 م، ص181.

المحاضرة التاسعة: مدرسة أكسفورد اللسانية

لقد أثر فنجنشتين المتجدد بتحليلاته الفلسفية للغة العادية، أكثر ما أثر في مدرسة أكسفورد، والتي جعلت من تحليلاته للغة العادية المبتدأ الأساسي لتفلسفها، حيث شارك فلاسفة المدرسة فنجنشتين اهتمامه باللغة العادية وطريقة استخدامها، كما شاركوه في الثورة على النظرية الاسمية التصويرية في المعنى.

إن مكانة مدرسة أكسفورد على الساحة الفلسفية المعاصرة متمثلة بجلبرت رايل وجون أوستن وسيرل وستراوس ونويل سميث أقول: إن هذه المكانة تتحد بكون هذه المدرسة تمثل فلسفة اللغة العادية منذ أواسط هذا القرن، وهذا الأمر يفسر استبدال بعضهم بين تعبير مدرسة أكسفورد وتعبير فلسفة اللغة العادية بحيث أن كلا من هذين التعبيرين أصبح يشير إلى الآخر ويحل محله.

أما أهم مشكلة تدرسها فلسفة اللغة العادية هي نظرية المعنى في الاستخدام، إذ تناول هؤلاء الفلاسفة هذه النظرية بالتحليل والتطوير، وذلك من خلال تقديم نظريات أهمها نظرية المنطوق الأدائية، ونظرية الأفعال الكلامية.¹

1_ نظرية المنطوقات الأدائية عند أوستن:

« هاجم أوستن النظرية الاسمية في المعنى عند الوضعية المنطقية والتي تقول: « بأن العبارات غير التقريرية ليس لها معنى، ولا بد من حذفها من مجال الفلسفة والاكتفاء بالعبارات الوصفية أو الاسمية، ويطلق على هذا التحديد لنظرية المعنى " المغالطة الوصفية»². والمقصود بالمعنى هو أن تحديد مجال اللغة وجعله يقتصر على الوصف فقط أحد أكبر الأخطاء التي ترتكب في حق اللغة، فاللغة ترفض هذا التقييد والحصص.

« ويمكن تلخيص فكر أوستن في نقطتين اثنتين:

1_ الأولى: رفض ثنائية الصدق والكذب.

¹-رشيد الحاج صالح، مدرسة أكسفورد وفلسفة اللغة، مجلة المعرفة، العدد 451، أبريل، 2001، ص 10-11.
²-جون لانغشو أوستن john langshaw austin منطقي ولساني بريطاني، ولد سنة 1911، وتوفي سنة 1960، له كتاب كيف نصنع الأشياء بالكلمات، طرح فيه نظريته في الأفعال الكلامية، تخصص في الآداب اليونانية والرومانية.

2_ الثانية: تتمثل في إقراره بأن كل قول هو عبارة عن عمل.¹

تقوم نظرية المنطوقات الأدائية على التمييز بين نوعين من المنطوقات هي المنطوقات التقريرية constative utterances والمنطوقات الأدائية performative utterances². « المنطوقات التقريرية هي الجمل الإخبارية التي تحمل خبراً أو معلومة، ويكون معناها صالحاً للحكم عليه بالصدق أو الكذب، فإذا كان الكلام مطابقاً للواقع حكم عليه بالصدق، وإذا خالف الواقع حكم عليه بالكذب. » أما المنطوقات الأدائية فلا توصف بالصدق أو الكذب ومع ذلك لها معنى ودور معين تقوم به، أما مهمة المنطوق الأدائي فهي القيام بإنجاز فعل بواسطة الكلام. كما يذهب أوستن إلى أن للمنطوقات الأدائية صفة الجمل الإخبارية، ولكن لا تتصف بالصدق أو الكذب، أما الحكم على هذه المنطوقات فيتوقف على ملاءمتها أو مخالفتها للشروط التي يضعها أوستن.

ولإثبات رأيه وتثمينه، ودحض رأي فلاسفة الوضعية المنطقية قدم أوستن الأمثلة التالية:

1_ أنت طالق.

2_ أنا اسمي هذه السفينة، طارق بن زياد.

3_ أراهن بألف ليرة أن فرنسا ستفوز بكأس العالم.

4_ بعثك سيارتي.

5_ إنني أتخذ هذه المرأة لتكون زوجة شرعية لي.

6_ إنني أهب وأورث ساعتني لأخي.

إن هذه المنطوقات ليس أحكاماً تقبل الصدق أو الكذب، وهي بالرغم من ذلك ليست بلا معنى، إنها جمل تقوم بواسطتها بأداء فعل ما، ففي الجملة "أنت طالق"، لا يصف القائل حال زوجته، بل إنه وعد التلطف بكلمة "طالق" فإنه يقوم بفعل ما وهو الطلاق. كذلك عندما يقول أحدهم: "بعثك سيارتي" فإنه يقوم بفعل البيع، وعندما يراهن أحدهم فإن يقوم بفعل المراهنة، وعندما يسمى أحدهم فإنه يقوم بفعل التسمية، هكذا أعاد أوستن الاعتبار لبقية أنواع الكلام كالأمر والنهي، والشكر، والسؤال، والوعد... بالإضافة إلى العبارات الجمالية والأخلاقية، إذ

¹- العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، ص 54.

²- رشيد الحاج صالح، مرجع سابق، ص 13.

بين أوستن أن لكل نمط من أنماط الكلام نوعا خاصا من المعنى، وبالتالي فالمعنى لا يرتبط بالقضايا التقريرية وحسب.

« إن القيام بأداء هذه الأفعال بواسطة تلك الجمل بحاجة إلى شروط معينة »¹ ففي عبارة "أنت طالق" لا بد من أن ينطق الزوج بهذه العبارات وليس شخصا آخر، وفي حالة بيع السيارة لا بد من أن يكون القائل هو صاحب السيارة، وفي حالة التسمية لا بد من أن يكون للقائل الأهلية التي تجعله قادرا على تسمية السفينة، وفي حالة المراهنة لا بد من أن تكون قبل المباريات وليس بعدها.

أطلق أوستن على هذه المنطوقات اسم " الإنشائيات performatives " لأن بها يتم إنشاء أي ابتكار الأفعال... وميز بين نوعين من العبارات الإنشائية: عبارات ظاهرة Explicit تستعمل اسم الفعل بصيغة مخصوصة، هي صيغة المتكلم أو مضمره primary لا يذكر فيها اسم الفعل، بل إن السياق هو الذي يفيد الفعل الذي يراد تحقيقه،² والأمثلة التالية تبين ذلك:

1_ إنني أراهنك بهطول المطر اليوم.

2_ سيهطل المطر اليوم.

3_ أحذرك من أن إضاعة الوقت سيؤدي إلى خسرانك.

4_ إضاعة الوقت تؤدي غلى الخسران.

نلاحظ في الجملتين 1 و 3 أن فعل الأداء كان واضحا وهو المراهنة والتحذير، أما في الجملتين 2 و 4 ففعل الأداء فيهما مضمر غير واضح.

شروط المنطوقات الأدائية:

« إذا كان مقياس المنطوقات التقريرية أو الخبرية هو الصدق أو الكذب، فإن مقياس المنطوقات الأدائية هو نجاح أو إخفاق الفعل المراد القيام به بواسطة المنطوق. ذلك أن محاولة القيام بفعل ما عند التلفظ بعبارات معينة قد تبوء بالإخفاق، لذلك يضع أوستن جملة من الشروط الواجب اتباعها لكي لا تقع في الإخفاق، أطلق عليها شروط الملائمة felicity conditions وحصرها في ثلاثة أنماط أساسية كل نمط منها يحتوي على شرطين، فهي إذن ستة شروط وهي على النحو التالي:

¹-معن زيادة، الموسوعة الفلسفية، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الأولى 1988، ص 1330.
²-المرجع نفسه، ص 1331.

أ_ 1_ « وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدد كالزواج مثلا، وأن يشتمل هذا الإجراء على كلمات محددة ينطق بها أشخاص محددون في ظروف محددة، فإذا لم يوجد إجراء عرفي مقبول ذو أثر معلوم كالزواج في الأفلام أو التمثيليات، أو إذا لم تنطق الكلمات على النحو الصحيح المفهوم الذي ينعقد به الإجراء »¹، كأن ينطق ولي الزوجة بصيغة عقد النكاح بطريقة خاطئة أو مخالفة لما هو معهود، فيقول بدل زوجتك أو أعطيتك كلمة بحقك، أو إذا كان الشخص الذي يتولى الإجراء فاقد الأهلية للقيام به، ومثال هذا أن احد الزوجين أو كلاهما أو الشخص المكلف بعقد القران قاصرا أو مجنون (فاقد عقله)، أو إذا كانت الظروف غير ملائمة فإن العمل لا يؤدي، فلا يمكن أن يتم إجراء عقد الزواج وقت صلاة الجمعة.

« أ_ 2_ ينبغي ان يكون أولئك الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء المحدد وأن تكون الظروف مناسبة أيضا، فإذا طلب منك مثلا أن تختار شخصا ليساعد في بحث ميداني مثلا، فاخترت شخصا غير مناسب لهذه المهمة، فإن الفعل لم يؤد »².

« ب_ 1_ ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداءً صحيحا، بالبعد عن استعمال العبارات الغامضة أو الملبسة كأن تقول لرجل جاء ليشتري منك منزلا محددًا من منازلك: أبيعك منزلا بمليون، أو أبيعك أحدها بمليون »³.

« ب_ 2_ ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداءً كاملا »⁴، فإذا قال رجل لآخر: أبيعك منزلي بمليون ولم يقل الرجل قبلت كان الأداء ناقصا.

« ج_ 1_ عند الكلام الإنشائي الذي يفترض افكارا ونوايا وعواطف معينة، لا بد أن تكون هذه حاصلة عند المتكلم »⁵، فإذا قلت لشخص: أعذك بأن أساعدك وأنت لا تنوي مساعدته، أو إذا اعتذرت لشخص ما وانت لا تحمل أي عواطف ندم أو تحسر، أو إذا قلت للرجل أنصحك وأنت تنوي إهلاكه، أو إذا قلت لزميل أهنئك على نجاحك وأنت تضمر له عكس ذلك.

¹-محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مج 1، ع (محرم_ ربيع الأول 1420هـ) (أبريل، يونيو 1990م) ص 163.

²- محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 163.

³-المرجع نفسه، ص 164.

⁴- صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص 143.

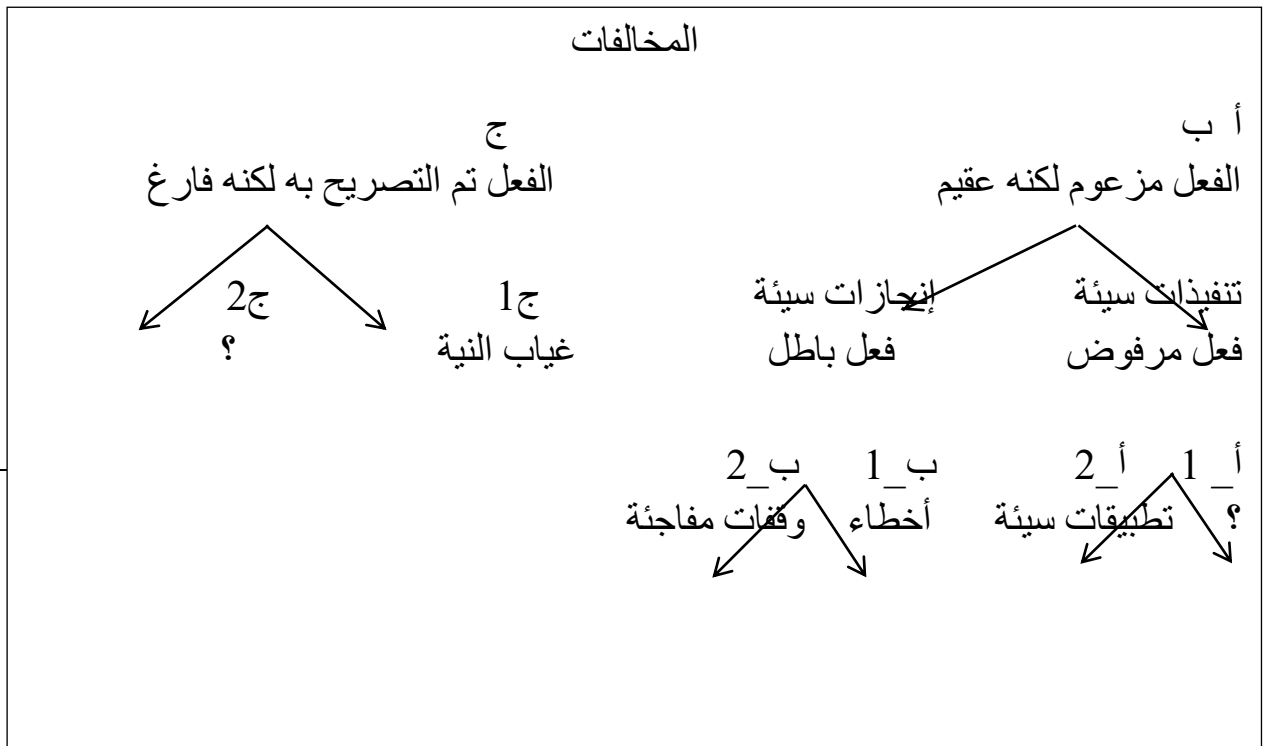
⁵- العيد جلولي، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في الخطاب، ص 55.

« ج_2_ عند الكلام الإنشائي الذي يستدعي سلوكا معيناً من قبل المشاركين، يجب على هؤلاء أن يحققوا هذا السلوك، فمن وعد بالمجيء ولا يأتي هو متناقض مع ذاته»¹.

« فإذا لم يتم اتباع أية قاعدة من هذه القواعد الستة، فإن المنطوق الأدائي سيكون غير ملائم بطريقة أو بأخرى، ويميز أوستن بين القواعد الأربعة في (أ_ب) وبين القاعدتين في (ج)، فإذا أعرض المرء عن أية قاعدة من القواعد الأربعة في (أ و ب): أي إذا لم ينطق صيغة الفعل نطقاً صحيحاً أو إذا لم يكن في وضع مناسب لأداء فعل التسمية مثلاً، حيث لا يكون هو الشخص المكلف بالتسمية، فإن الفعل لا يتم أدائه بصورة ملائمة، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فيما يتعلق بالقاعدتين في (ج) قد يتم إنجاز الفعل، ولكن المرء ربما ينجزه على نحو غير مخلص، وهو بذلك يسيء استعمال الإجراء.

يطلق أوستن على المخالفات التي تحدث للقواعد الأربعة في (أوب) اسم "خلال" Mishires ويسمى المخالفات التي تقع في (ج) "مساوئ الاستعمال" Abuses. فالمخالفات ل (أوب) تجعل الفعل عميقاً أو بدون أثر، وإذا تحدثنا عن الفعل في هذه الحالة، فلا نتحدث عنه إلا كفعل مزعوم، أو لعله محاولة، ذلك أن مخالفة الحالة (أ 1) تعني عدم وجود عرف بين الناس يفسر الكلام الذي أردنا بموجبه تحقيق فعل ما، ومخالفة الحالة (أ 2) تعني التطبيق السيء للإجراء، أما مخالفة الحالة (ب 1) فتؤدي إلى أخطاء تفقد الإجراء معناه، ومخالفة الحالة (ب 2) شبيهة بالوقفات المفاجئة التي تحدث في أثناء المراسم التي يحدث خلالها الفعل بحيث تؤدي إلى إفساده»².

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نحصل على المخطط التالي:



«الحقيقة أن أوستن لا يستعمل هذه الأسماء للمخالفات بصورة قطعية، بل يستعمل بين الفينة والفينة أسماء أخرى للمخالفات المتباينة فنراه يسمي (أ_1) باسم اللا ألعاب و(أ_2) الألعاب الخاطئة، ويطلق على (ب) سوء الإدارة، و(ب_1) الإنجاز السيء و(ب_2) الخداع، و(ج، 2) عدم الوفاء والغدر والالتزام والنقص».¹

« ويتم تحديد المنطوقات الأدائية بحسب الملائمة أو المخالفات للشروط السابقة، ولكن يمكننا هنا أن نسأل، هل هناك نسبة بين المنطوقات الأدائية والتقريبية؟ بمعنى آخر: هل يمكن أن ننقد المنطوق الأدائي بواسطة قواعد المنطوق التقريبي؟ وهل يمكن نقد المنطوق التقريبي بواسطة قواعد وشروط المنطوق الأدائي؟ وبالتالي هل يخضع المنطوق الأدائي لمعيار الصدق والكذب؟ وهل يخضع المنطوق التقريبي لقواعد الملائمة والمخالفة؟
إن إجابة أوستن هي/ نعم.

لنأخذ أولاً المنطوقات التقريبية على أساس الملائمة والمخالفة، والمثال الذي يقدمه أوستن هو "القطعة على الحصيرة، بيد أنني لا أعتقد أنها موجودة"، إن هذا المنطوق التقريبي يشبه المنطوق الأدائي التالي: "أعد بأنني سأكون هناك، ولكن ليس لدي أية نية في أن أكون هناك"، إن المنطوق التقريبي هو كاذب، أما المنطوق الأدائي فمخالف للقاعدة (ج 2) وبالتالي فهو منطوق كاذب من جهة، ومنطوق غير ملائم من جهة أخرى، لأن هذا المنطوق هو في الواقع "مجاهرة برياء"، وبالتالي فإنه يخضع لشروط عدم الإخلاص، شأنه في ذلك شأن المنطوق الأدائي، هكذا أدخل أوستن المنطوق التقريبي ضمن المنطوقات الأدائية وأخضعه لشروطها.

يضاف إلى ذلك أن المنطوق الأدائي يمكن أيضاً أن يخضع للنقد عن طريق معيار الصدق والكذب، أي لشروط المنطوق التقريبي، لنأخذ المثال التالي وهو منطوق أدائي "إنني أحذرك بأن الثور على وشك أن يهجم"، ولكن ماذا لو لم يكن الثور موجوداً بالأساس؟

¹-المرجع نفسه، ص 145.

في هذه الحالة يكون المنطوق الأدائي عرضة للنقد عن طريق الصدق والكذب، ذلك لأن التحذير هنا ليس عميقا ومخالفا لشروط المنطوق الأدائي بقدر ما هو تحذير كاذب»¹. وفي الأخير نخلص إلى أن أوستن لم يتمكن من الفصل بين المنطوقات الأدائية والتقريبية، حيث وجد أن المنطوقات الأدائية يمكن ان تخضع لمعيار المنطوقات التقريبية (الصدق والكذب)، كما يمكن أيضا أن تخضع المنطوقات التقريبية لشروط الملائمة والمخالفة، فالكلام الإنشائي لا ينفع في أن يكون معيار تصنيفيا إذ كل كلام بما فيه الخبر هو أساسا إنساني.

ثانيا: نظرية الأفعال الكلامية:

« تستأثر نظرية الأفعال الكلامية باهتمام الباحثين في جوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة، فعلماء النفس يرون اكتسابها شرطا أساسيا لاكتساب اللغة كلها، ونقاد الأدب يرون فيها إضاعة لما تحمله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة وما تحدثه من تأثير في المتلقي، والأنثروبولوجيون يأملون أن يجدوا فيها تفسيرا للطقوس والرقى السحرية، والفلاسفة يرون فيها مجالا خصبا لدراسة علاقة اللغة بالعالم، واللغويون يجدون فيها حولا لكثير من مشكلات الدلالة والتراكيب وتعليم اللغة الثانية، أما في الدرس التداولي فإن الأفعال الكلامية تظل واحدا من أهم المجالات فيه، إن لم يكن أهمها جميعها»². «فقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي speechact نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطب، والأمر والوعد والوعيد.... الخ) وغايات تأثيرية Actes perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسستيا، ومن ثم إنجاز شيء ما»³.

1 نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن:

¹-رشيد الحاج صالح، مرجع سابق، ص 17.
²-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية 2002، الإسكندرية، ص 41/40.
³-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، تموز، (يوليو)، 2005، ص 40.

« بعد أن وصلت نظرية المنطوقات الأدائية إلى طريق مسدود عاد أوستن إلى بدايات تناوله لهذا الموضوع، ليبدأ من قوله: بأن المتكلم عندما ينطق بأي تعبير فإنه ينجز فعلاً ما»¹.
« وكأنه سؤاله الأول، كيف ننجز فعلاً حين ننطق قولاً؟ فرأى الفعل الكلامي مركباً من ثلاثة أفعال تؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي، فهي ليست أفعالاً ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحداً وراء الآخر، بل هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر إلا لغرض الدراسة فحسب»² وهي:

_ « فعل القول (Acte locutoire) وهناك من استخدم مصطلح (Acte phonétique) كما تعددت الترجمات منها: فعل النطق، فعل التلفظ، الفعل اللفظي، الفعل الصوتي، فعل الكلام، عمل القول، الفعل اللغوي، الفعل التعبيري.

_ فعل الإنجاز: (Acte illocutoire) ومن الدارسين من يستخدم مصطلح (Acte phatique) ومن المصطلحات المستخدمة أيضاً: الفعل الناتج عن القول، فعل الاستنطاق، فعل الخطاب، لازم أفعال الكلام، عمل التأثير بالقول، الفعل.

_ فعل التأثير (Acte perlocutoire): يستخدم العياشي أدراوي مصطلح (Acte rhétique) ومن المصطلحات المستخدمة أيضاً: الفعل الناتج عن القول، فعل الاستنطاق، فعل الخطاب، لازم أفعال الكلام، عمل التأثير بالقول، الفعل الإبلاغي»³.

1_ فعل القول: « يقصد بفعل القول الجانب المادي (الفيزيائي) فهو النطق ببعض الكلمات، أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة بنوع ما بمعجم معين و متماشية معه وخاضعة لنظامه، إنه عمل يفرضي إلى إنتاج المعاني بالمفهوم (التقليدي) المتمثل في ضبط المعنى وما يحيل إليه من مرجع، أي تنتج متوالية من الأصوات لها تنظيم تركيبى وتحيل على شيء بعينه»⁴.

¹ - رشيد الحاج صالح، مرجع سابق، ص 17.
² - آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف _ دراسة تداولية _ مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، 2010، 2011، ص 111.
³ - وناسة كرازي، أفعال الكلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم _ دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في اللغة العربية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، ص 44.
⁴ - وناسة كرازي، أفعال الكلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم _ دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، المرجع السابق، ص 44.

« وعرفه العيد جلولي بأنه لفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح ينتج عنه المعنى الأصلي، أو في نتاج أصوات منتمية إلى لغة معينة، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول»¹.

وتندرج تحت هذا القسم ثلاثة أفعال لغوية فرعية بحسب نفسية "أوستن" وهي:

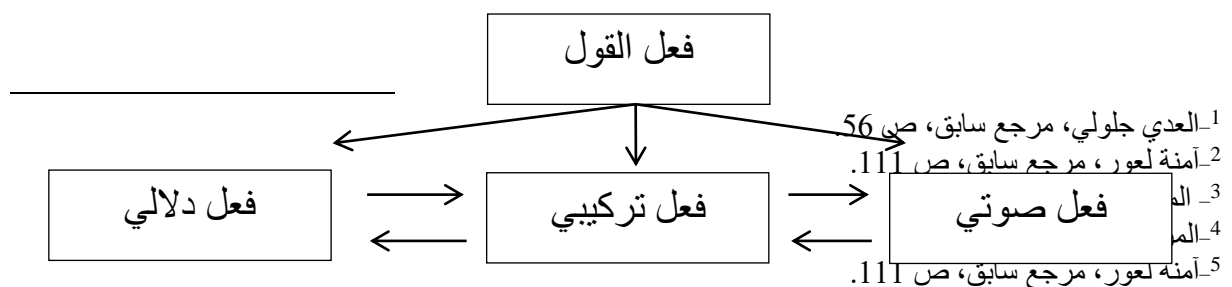
أ_ الفعل الصوتي (Acte phonétique) هو التلفظ بسلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة ما².

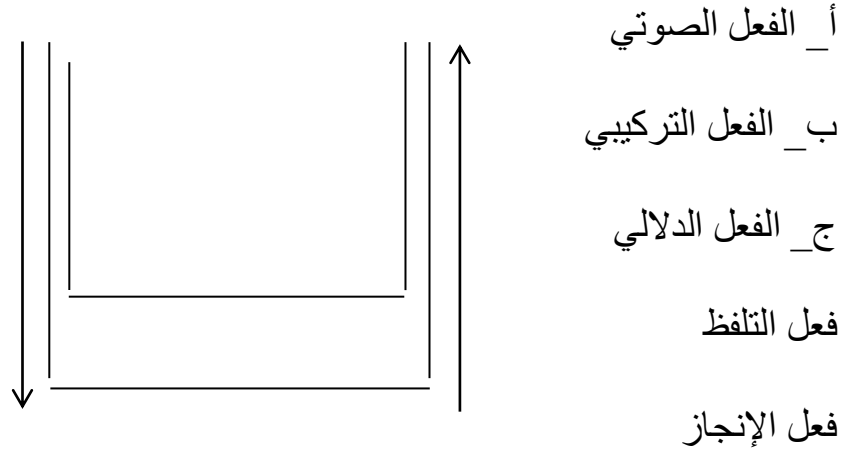
ب_ الفعل التركيبي "التبليغي" (Acte phatique) هو إنتاج كلمات يكون لها رصيد في المعجم وتكون خاضعة لقواعد النحو والتركيب.³

ج_ الفعل الدلالي "الإحالي" (Acte rhétique) يتمثل في الربط بين الكلمات ودلالاتها حسب ما تحيل إليه.⁴

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الأفعال الفرعية الثلاثة متداخلة فيما بينها، بحيث أنها تنجز في وقت واحد، فنحن حين ننجز سلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة معينة ضمن شكل عرفي يمكن معرفية وننجز هذا العمل بقصد مساو أيضا لأننا في العادة لا نتكلم ضد إرادتنا، كما يمكننا أن نتحكم في لغتنا ومع ذلك فللملفوظات اللغوية سلسلة كاملة من السمات الخاصة بها، فهي تتألف على شكل سلسلة من الأصوات التي تنتظم في مجموعات صوتية وفقا لقواعد نحوية وتركيبية ذات دلالة معينة، ومن خلال إنتاج الأصوات نقوم في الوقت ذاته بأحداث فونولوجية ومورفولوجية ونحوية وتركيبية، وهذا ما أشار إليه "فان دايك" في قوله: « ونحن نفهم من فعل الكلام الأصلي locutionary Act فعلا معقدا يقوم هو ذاته على مراتب متعددة من إنجاز الفعل، وأعي مستوى النطق (الفونيطيقي) والمستوى الفونولوجي (وظيفة الصوت) والصرفي ومستوى التركيب النحوي».

ويمكن توضيح هذا التداخل بين الأفعال من خلال المخطط الآتي:⁵





ويبدو لنا جليا ذلك التداخل بين الفعل الصوتي والفعل التركيبي لدرجة استحالة الفصل بينها ذلك أن إنتاج فعل تركيبى يتطلب معه ضرورة إنتاج فعل صوتى قبله، وفعل دلالي بعده، أي أن يكتسب معنى محدد. أما التلفظ بفعل القول يقودنا مباشرة إلى الصنف الثانى، أي ما اصطلح أوستن على تسميته بالفعل الإنجازى الذى يعد محور هذه النظرية.¹

2_ الفعل الإنجازى: هو كما عرفه أوستن: الفعل الخاص والمحدد الذى يقصد المتكلم إلى تحقيقه من واء إنتاجه ملفوظا معيناً داخل مقام تخاطبى محدد، فهو « إنجاز فعل فى حال قول شيء ما (مع مراعاة مقتضى المقام) على خلاف إنجاز فعل ما بمجرد القول وإيراده عارياً عن القرائن الدالة ». ²

هذا الفعل يمثله المعنى المؤدى خلف المعنى الأصلى أو الحرفى (المتضمن فى القول) ويدل على العمل الذى يرمى المتحدث تحقيقه، ويمارس قوة على المتخاطبين.

« وتتضح العلاقة بين الفعل اللفظى والفعل الإنجازى فى أن الأول يتحقق فى صوت وتركيب ودلالة، أما الثانى « فيتمثل فى تحقيق ألفاظ أو تعابير لغوية تنطوي زيادة على ما يخوله مستوى الفعل اللفظى من دلالة على قوى إنجازية قد يمثّلها الإخبار، أو الاستفهام، أو غير ذلك، ذه القوة الإنجازية هي التي تمثل القصد التداولي من تحقيق الفعل اللغوي، وبهذا

¹-أمنة لعور، مرجع سابق، ص 112.

²-ينظر: نظرية أفعال الكلام، أوستن، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991، ص 120.

يكون الفعل الإنجازي هو « الفعل الذي تبرز من خلاله معالم الاستعمال، فالفعل الإنجازي هو الغرض الذي يحمله القول قد يكون أمرا، استفهاما تحذيرا، ولا يقصد منه وصف العالم ولا يحكم عليه بالصدق أو الكذب، بل بالنجاح والفشل»، والمخطط التالي يوضح التداخل بين الفعلين.

ولأداء الفعل الإنجازي هناك مجموعة من الشروط على المتكلم تنفيذها هي:

أ_ « الأداء الفعل التعبيري: أي أن ينطق أو يستعمل الجملة المحتوية للفعل، على سبيل المثال فعل الدعوة هو قول أو استعمال ألفاظ تدل على الفعل.

ب_ أن يقصد بالفعل التعبيري في هذه الحالة امتلاك القوة أن يقصد بالجملة المنطوقة امتلاك القوة الإنجازية المعينة.

ج_ أن يتأكد من الفهم، أن يتأكد من فهم المتلقي الغرض المقصود.

لكي ينجح الفعل الغرضي، فمن الضروري بالنسبة للمتكلم التأكد من الفهم " secure uptake " يقول أوستن: « لا أستطيع أن أقول إنني حذرت المستمع ما لم يسمع ما أقول ويأخذه بمغزى معين، ويجب أن يتم إنجاز التأثير على المستمع لو شئنا إنجاز الفعل الغرضي... وبصفة عامة، فإن التأثير يساوي إحداث فهمت معنى التعبير وقوته، وهكذا فإن أداء الفعل الغرضي يستلزم التأكد من الفهم.

د_ أن يستوفي أعرافا معينة تحدد ممارسة الفعل، ما انفك أوستن يذكر مرارا وتكرارا أن الأفعال الغرضية هي أفعال عرفية conventional بصورة أساسية، فنراه يقول: « يجب أن تلاحظ أن الفعل الغرضي هو فعل عرفي، أي فعل مفعول وفقا لعرف » ، ويقول في موضع آخر: « إننا نؤدي أيض الأفعال الغرضية مثل الإعلام، والامر، والتحذير، والتعهد أعني المنطوقات التي لها قوة (عرفية) معينة».¹

« فالفعل الإنجازي مبني على المواضيع والاصطلاح يشترط على المتكلم النطق بالفعل الذي يحمل قوة إنجازية معينة مع مراعاة فهم المتلقي للقصد».²

¹-خديجة بوحنشة، أفعال الكلام عند أوستن Austin، في الشعر الجزائري "دراسة حجاجية"، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيجل، ص 232.
²- المرجع نفسه، ص 232.

فلضمان نجاح الفعل الإنجازي هناك شروط تكوينية تتعلق بوجود إجراء عرفي مقبول، يكون هذا الإجراء متلفظان وصحيحا، وكاملا، يؤديه متخاطبون مؤهلون للتنفيذ، بالإضافة إلى شروط قياسية مرتبطة بصدق النوايا والأفكار والمشاعر لدى المتكلم، وان يؤدي المتكلم فعلا إنجازيا معناه أنه في حالة قوله كذا فقد حقق إخبارا، أو وعدا، أو تحذيرا.... وهذا ما يؤكد تعالق الفعل اللفظي بالفعل الإنجازي، فلا يمكن إنجاز الفعل إلا من خلال النطق به»¹.

3_ الفعل التأثيري: « يقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المرسل إليه، فالفعل الإنجازي يتسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، والتضليل والإرشاد....

فتظهر جليا في ردة فعله، فالمتكلم يسعى من وراء ملفوظه إلى التأثير على أفكار ومشاعر المستمع ويحاول استمالاته إليه، فيستجيب له، وتسمى هذه الاستجابة "فعلا استجابيا" أو فعل التأثير ولا يحدث ذلك إلا إذا تمركز في ذهن المستمع فعل الإقناع "persuades".²

« وخلاصة القول: إن إنتاج فعل كلامي _ حسب اوستن _ يستلزم إنتاج ثلاثة أفعال مترامنة، منها ما يتعلق بالمرسل (فعل الكلام وفعل الإنجاز) ومنها ما يتعلق بالمرسل إليه (فعل التأثير)، فيواكب فعل الكلام فعل الإنجاز الذي يعبر عن قصد المتكلم، كأن يخبر أو يسأل، أو يأمر أو يعد أو ينذر... ويواكب فعل الإنجاز فعل التأثير الذي يخلفه التلفظ بالفعل الكلامي، فيستبشر المخاطب، أو يطرب أو يخزن أو يغضب.... فإذا كان الفعل الإنشائي ذا طبيعة لغوية ومجعولا للإصداع بصيغة بعينها، فإن الفعل التأثيري يفلت من مجال اللغة، لأنه يتعلق بالأثر الذي يحدثه الفعل في المتلقي»³.

ولتوضيح الأفعال الثلاثة نحلل المثالين التاليين:

1_ إن لم تلتزم، ستخسر.

2_ عيد مبارك سعيد.

الأفعال	فعل القول	فعل الإنجاز	فعل التأثير

¹-المرجع نفسه، ص 232-233.

²-وناسة كرازي، مرجع سابق، ص 45.

³-وناسة كرازي، مرجع سابق، ص 46.

			الجملة
استثارة الخوف	التهديد أو التحذير.	إنتاج الجملة المحتوية على الفعل والنطق بها.	الجملة 01
استثارة المحبة.	التهنئة.	إنتاج الجملة المحتوية على الفعل والنطق بها.	الجملة 02

« وعلى الرغم من الانتقاد الذي وجهه بعض الدارسين لتقسيمات "أوستن" السابقة للفعل الكلامي، إلا أن هذا لم يمنعه من تقديم تصنيف الأفعال الكلامية على أساس ما أسماه "قوتها الإنجازية" illocutionary force في محاضراته الأخيرة (الثانية عشر)، وجعلها خمسة أصناف لكنه لم يتردد في القول بأنه غير راض عن هذا التصنيف، وقدمها كقاعدة للنقاش بصفة مقننة، وتأتي هنا على شكل تحديدات مستنسخة عن الإنجليزية، والفرنسية»،¹ وهي:

1_ « الحكمية verdictifs: وتقوم على الإعلان عن حكم، أي التلطف بنتائج رسمية أو غير رسمية، بناء على دليل أو سبب فيما يتعلق بقيمة أو واقعة: أي أنها تتأسس على البداهة، أو أسباب وجيهة، تتعلق بقيمة أو حدث». ²

ومن أمثلة هذه الأحكام: براء، قيم، حكم، حسب، وصف، حل، صنف، أرّخ، فسر.

2_ « التمرسية exercitifs: وتقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، وتقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما ومن أمثلة: أوظف، أوث، أحكم على، أطرده، أحذر، أكرس، أرجئ، ألغي، أصفح، أدعي، أختار، أزكي، أتوسل». ³

3_ « التكليف commissifs: وهي التي تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء أو إلزام نفسه به مثل: أعد أتعهد، أتقاعد على، أضمن، أقسم على، أقبل». ⁴

¹-زابور إيمان، تداولية أفعال الكلام في سورة الرحمان، مجلة اللغة العربية، المجلد 22، العدد 50، السنة: الثلاثي الثاني، 2020، ص 240.

²-فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، المقاربة التداولية، مركز الإنماء القومي، ص 62.

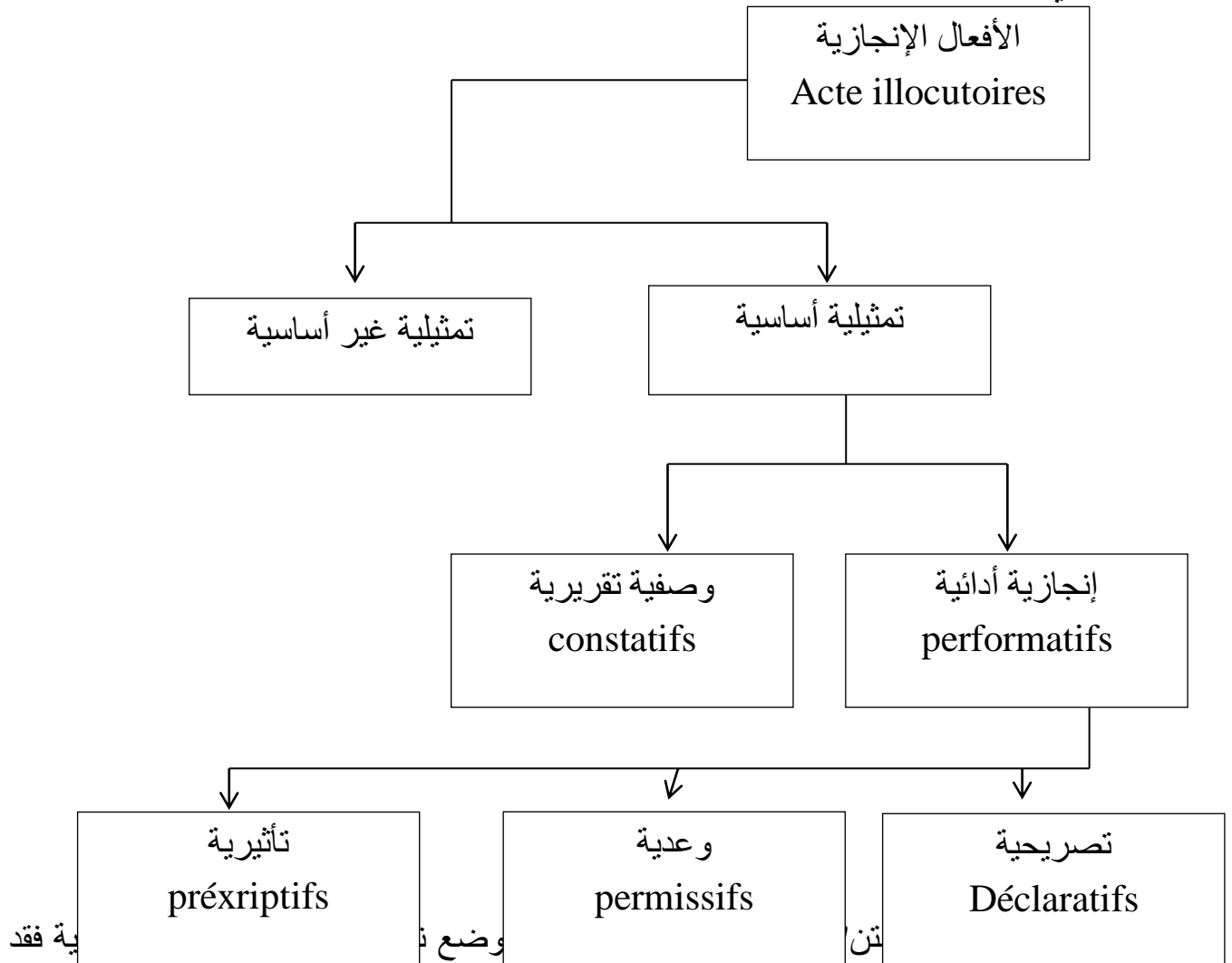
³-محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مرجع سابق، ص 169.

⁴-المرجع نفسه، ص 169.

4_ العرضية expositifs: وتستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع وتوضيح استعمال كلمات، وضبط مراجع، مثال: أكد، وأنكر، وأجاب، واعترض، ووهب، ومثل: وفسر، ونقل أقوال¹.

5_ السلوكيات comportementaux: ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، لأنها تعبر عن رد فعل لسلوك الآخرين، كالاعتذار والشكوى والشكر والمواساة والتحدي². وفي الأخير يمكن توضيح أشكال الفعل الإنجازي عند "أوستن" من خلال الرسمية

التالية:



لاقي هذا التصنيف الكثير من النقد بحجة أنه لا يوجد مبدأ عام، أو معيار واضح أقيم على أساسه هذا التصنيف، الأمر الذي أدى إلى الكثير من التداخلات والارتباطات، الاعتراض

¹-فرانسوار أرمينكو، مرجع سابق، ص 62.

²-وناسة كرازي، مرجع سابق، ص 46.

³-أمنة لعور، مرجع سابق، ص 116.

الثاني على هذا التصنيف أن أوستن لا يصنف الأفعال العرضية " Act " بل أسماء هذه الأفعال " vrb " مما يدل على أن أوستن يرى أن تصنيف أسماء الأفعال الداخلية في القول هو تصنيف لهذه الأفعال مع أن الأمر مختلف، ذلك أننا إذا أخذنا اسم الفعل " صرح " فإنه لا يدل بالضرورة على فعل داخلي في القول.

بل على الطريقة التي تنجزها مثل هذه الأفعال، فالتصريح لا يكون إلا تصريحاً بخبر أو وعداً أو أمر.... أما التصريح نفسه فلا يدخل ضمن قائمة الوعد أو الأمر أو الإخبار، الاعتراض الثالث هو أن أسماء الأفعال المدرجة في القوائم أوستن ليست كلها فطرية تماماً، فإذا أخذنا الأمثلة التالية: « تعاطف، سوف، قصد... » نجد أنها لا تؤدي غرضاً معيناً بصورة واضحة، ذلك أن الكلمات التي تدل على حوادث أسماء أفعال وليست أفعال، وأسماء الأفعال قد لا تكون غرضية وبالتالي لا بد من إخراجها من الأفعال الغرضية، الإقراض الرابع هو أن أوستن لا يتقيد كثيراً بالتعاريف التي يقدمها الأفعال، وإن أمثلته لا تراعي شروط هذه التعاريف ومن أمثلته هذه المخالفة أن النتيجة والتوظيف وهي أفعال مدرجة ضمن الأفعال المتعلقة بالممارسة، لا توافق وتعريف الدراسات من حيث أنها إصدار حكم في صالح مسلك معين أو ضده أو تأييد له، ذلك لأنها مجرد إنجاز تلك الأفعال وليس تاييداً لها بسبب هذه الافتراضات واستعراضات أخرى وجد نقاد أوستن أن الأفعال السابقة كثيراً ما تتداخل وتتراكب، بحيث لا يمكننا العثور على خطوط فاصلة بين تلك الأفعال فعلى سبيل المثال أدرج أوستن الأفعال التالية: "أصف، أوكد، أستنتج، أستتبط، أصنف" ضمن الأفعال التفسيرية مع أننا يمكن أن ندرجها ضمن الأفعال المتعلقة بالحكم.¹ « لكنه بالرغم من ذلك وضع بعض المفاهيم المركزية في النظرية، ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولى منها، فضلاً عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد مفهوماً محورياً في هذه النظرية.²

على أن التطوير الأساسي للنظرية تحقق على يد سيرل فيما يعرف بالمرحلة الأساسية الثانية للنظرية، فقد ظهرت على يد منتظمة systematic لاستعمالات اللغة بمصطلحات

¹ -رشيد الحاج صالح، مرجع سابق، ص 116.

² -محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مرجع سابق، ص 170.

الأفعال الكلامية قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية intentional ، وأن هذه القواعد يمكن أن تحدد على أسس منهجية واضحة متصلة باللغة، والرجل على كل حال لم يبدأ من فراغ، بل بنى على ما ابتداه أوستن وأخذ يحكمه شيئاً فشيئاً حتى أصبح خلقاً سوياً.¹

2_ نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل:²

إن ما بذله أوستن من جهد لا يمكن لأحد أن ينكره، فكان ما قدمه الأرضية التي انطلق منها من جاء بعده، ويعد تلميذه سيرل أول من تبنى فكر أستاذه، وعمل على تطوير نظرية الأفعال الكلامية، فجعلها ممنهجة، ووضع لها أسس ومثلت نظريته المرحلة الأساسية (مرحلة النضج والضبط المنهجي) لمرحلة أوستن الانطلاقية (مرحلة التأسيس).³

لقد صدر كتاب سيرل "الأفعال اللغوية"، عام 1969 بالانجليزية، وترجم إلى الفرنسية سنة 1972، فقد تبنى بشكل من الأشكال اقتراحات "أوستن" مستندا على أن فعل القول لا يمكن تحقيقه من دون قوة إنجازية، كما أجرى تعديلات على تصنيف أوستن للأفعال اللغوية، فضلا عن الاهتمام الخاص الذي أعطاه للمعنى والمحتوى اللغوي.⁴

إن دراسة وتصنيف سيرل لأفعال الكلامية كان بفضل ما أوتيه من جهاز مفاهيمي ثري أكثر دقة وعمقا مما ورثه عن سلفه "ج. ل. أوستن" الذي يعود إليه فضل اكتشاف الظاهرة وعزلها وتحديد إطارها العالم كظاهرة خطابية عامة.

وسوف نتعرض إلى أهم الأفكار التي بسطها "سيرل" بخصوص هذا الأمر والمتمثلة فيما يلي:⁵

1_ ارتباط اللغة بالأفعال اللسانية، ذلك أن التكلم بلغة ما يعني تحقيق أفعال لغوية ممكنة في ظل قواعد تعمل على استخدام العناصر اللغوية، وطبقا لهذه القواعد تتحقق الأفعال اللغوية.⁶

¹- المرجع نفسه، ص 170.

²- جون روجرز سيرل john rogeers searl فيلسوف أمريكي ولد في دفنر بولاية كولورادو عام 1932، تلميذ أوستن، من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون لتيار الفلسفة التحليلية التي طورها أوستن.

³- حكيمة بوقرومة، نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستن" و"سيرل"، ودورها في البحث التداولي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، ص 9.

⁴- حكيمة بوقرومة، نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستن" و"سيرل"، مرجع سابق، ص 9.

⁵- المرجع نفسه، ص 10.

⁶- المرجع نفسه، ص 10.

2_ قاعدة التواصل اللغوي مبنية على الفعل اللغوي، فكل تواصل لغوي لا ينبني على الرمز، أو على اللفظ، أو على الجملة، وليس هو تواتر هذه العناصر، بل التواتر، أداء للرمز ولللفظ وللجملة و بثها (Emission) لحظة تحقيق فعل لغوي معين.

3_ ارتباط نظرية اللغة بنظرية الفعل، ذلك أن اللغة جزء من نظرية الفعل " Théorie de l'action".

لأن التحدث عبارة عن سلوك خاضع للقواعد، وبالتالي يمتلك سمات صورية () خاصة تتعلق بدراسة مستقلة.¹

4_ ارتباط نظرية أفعال اللغة بنظرية المجال الدلالية، إذ لا يمكن التسليم بوجود دراستين دالتين مختلفتين، إحداهما تدرس الجمل ودلالاتها، والثانية تدرس إنتاج أفعال اللغة، وعليه فإن فعل اللغة عبارة عن تابع () لدلالة الجملة المعينة، فلا تسمح دلالة جملة ما بأي فصل لغوي محقق، داخل تلفظ هذه الجملة لأن المتكلم قد يريد قول شيء آخر لم يقله بالفعل، ومع ذلك يمكن له مبدئياً أن يقول ما ينوي إبلاغه.²

5_ عدم استقلالية معنى الجمل دلالياً عن معنى أفعال اللغة تداولياً، فدراسة الجمل لا تتميز مبدئياً عن دراسة أفعال اللغة، وإذا أدركنا هذا الأمر فإن الدراسة تبقى واحدة، وبما أن جملة تحمل معنى محدد، فإنه لا يمكن أن تستعمل بدلالاتها نفسها لإنجاز سلسلة من الأفعال اللغوية الخاصة، ولهذا فإن دراسة دلالة الجمل ودراسة أفعال اللغة يشكلان مجالين مستقلين بل مجالاً واحداً.³

ومن هنا يتضح أن ما اقترحه "سيرل" يرمي على تدعيم البعد التواصلية وتطويره، على اعتبار أن التحدث بلغة ما، ما هو إلا القيام بأفعال لغوية محددة، ومن هنا عمد إلى تحديد مفهوم الفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام، ضمن صياغة جديدة لما اقترحه "أوستن".⁴ كما حدد الشروط التي يجب أن تحققها أفعال الكلام لتضمن الإنجاز الموفق، فجعلها أربعة وطبقها تطبيقاً محكماً على كثير من الأفعال الإنجازية وهذه الشروط هي:

1- حكيمة يوقرو، مرجع سابق، ص 10.

2- المرجع نفسه، ص 10.

3- المرجع نفسه، ص 10.

4- حكيمة يوقرومة، مرجع سابق، ص 10-11.

1_ شروط المحتوى القضوي propositional content: وهو يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى القضية proposition التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع reference ومتحدث به أو خبر predication والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، ويتحقق شرط المحتوى القضوي في فعل الوعد مثلا إذا كان دالا على ذلك في المستقبل يلتزم به المتكلم نفسه.¹

2_ الشرط التمهيدي preparatory ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل، لكن لا يكون من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب أن الفعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز.²

3_ شرط الإخلاص sonorité ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يكون غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.³

4_ الشرط الأساسي essential ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل، أو هو محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل.⁴

وقد طيق سيرل هذه الشروط على الأفعال الإنجازية بتنوع أنماطها (رجاء، إخبار، شكر، استفهام، وتحذير...) وبين أن من الأفعال ما يحتاج لشروط إضافية، وما يستغنى منها عن بعض الشروط.

ولم يكتف سيرل بتلك الشروط، وإنما رأى أن هناك على الأقل اثنا عشر بعدا يميز بين الأفعال ويجعلها تختلف عن بعضها البعض، وهي:

1_ اختلاف في غرض point: فهكذا مثلا، غرض الفعل هو جعل المخاطب يفعل شيئا ما، بينما بالنسبة إلى الوصف، فالهدف هو إحداث تمثّل صادق أو كاذب عما يجري، والغرض من الوعد هو بأخذ القائم به على عاتقه واجب تنفيذ شيء ما.

فالغرض الداخل في القول يشكل جزءا من القوة الداخلة في القول، ولكنه لا يتساوى وإياها فغرض الطلب مثلا هو ذاته غرض الأمر، إذ كل من الطلب والأمر يتوخى جعل المخاطب يفعل شيئا ما، ولكن من الواضح أنهما لا يمتلكان القوة عينها. وبشكل عام يمكن القول أن

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 48.

2- المرجع نفسه، ص 48.

3- المرجع نفسه، ص 48.

4- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 48.

مفهوم القوة الداخلة في القول هي حصيلة عناصر متعددة، ليس الغرض سوى أحد هذه العناصر، وإن كان دون شك أهمها على الإطلاق.¹

2_ الاختلاف في اتجاه المطابقة direction of fit فاتجاه المطابقة في بعض الأفعال الإنجازية من الكلمات إلى العالم كالإخباريات assertion وهو في بعضها من العالم إلى الكلمات كالوعد والرجاء.²

3_ الاختلاف في الموقف الذي يعبر عنه المتكلم، فالذي يعد أو يتوعد يعبر عن مقصدية الإنجاز والذي يأمر أو يطلب، أو يرجو يعبر عن رغبة في ان ينجز السامع الفعل، والذي يعتذر يعبر عن الندم على ما فرط منه.³

4_ الاختلاف في القوة أو في الدرجة التي يعرض لها الغرض الإنجازي فقولك مثلاً: "أقترح أن نذهب إلى السينما" وقولك: "أصر علي أن نذهب إلى السينما" كل منهما يتقف مع الآخر في الغرض الإنجازي، لكنه عرض في كل منهما بدرجة مختلفة من القوة، فهو في القول الثاني أقوى منه في القول وأشد.

5_ الاختلاف في منزلة كل من المتكلم والسامع، فإذا طلب الضبط من الجندي أن يفعل شيئاً كان أمراً، أما إذا طلب الجندي من الضابط أن يفعل شيئاً كان اقتراحاً أو رجاءً ، لكنه لا يكون أمراً بحال.⁴

6_ الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمامات المتكلم والسامع كالاختلاف بين المدح والثناء أو التهنية والتعزية، وهو نمط آخر من أنماط الشرط التمهيدي preparatory condition.⁵

7_ الاختلاف في العلاقة بسائر عناصر الخطاب والسياق الذي يقع فيه، فقولك: "أجيب أو أستدل، أو أستنتج، أو أعترض على... يربط الأقوال التالية بالأقوال السابقة الملابس لها.⁶

¹-معني زياد، مرجع سابق، ص 1334.

²-محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مرجع سابق، ص 174.

³-المرجع نفسه، ص 174.

⁴-المرجع نفسه، ص 175.

⁵-محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال للكلامية، مرجع سابق، ص 175.

⁶- المرجع نفسه، ص 175.

8_ الاختلاف في المحتوى القضوي propositional content الذي تحدده القوة الإجبارية والوسائل الدالة، كالاختلاف بين الإخبار والتوقع، فالإخبار يكون عن أمر مضى، والتوقع يكون لأمر مستقبلي.¹

9_ اختلاف في أن يكون القول دائماً فعلاً كلامياً، وأن يمكن أن يكون فعلاً كلامياً لكننا لسنا في حاجة إلى أن نجعله فعلاً كلامياً، فأنت تستطيع مثلاً أن تصنف الأشياء وأنت تقول: أنا أصنف هذه الأشياء إلى (أ) و (ب)، ولكنك قد لا تحتاج إلى قول أي شيء لتصنيف الأشياء، إذ يكفي أن تضع ما هو منها من النوع (أ) في الصندوق المخصص ل(أ) وما هو من النوع (ب) في الصندوق المخصص ل (ب)، كذلك يمكن أن تقول عن تقدير القيمة أو تشخيص الحالة، "أنا أقدر" أو "أشخص" لكن من الممكن أن تقدر أو تشخص دون أن تقول شيئاً على الإطلاق.²

10_ الاختلاف في أن يقتضي أداء الفعل عرفاً غير لغوي أو لا يقتضي كالزواج أو إعلان الحرب، فلا يجوز الزواج إلا في إطار عرف غير لغوي، وكذلك إعلان الحرب لا يجوز أن يقوم به شخص إلا في إطار عرف غير لغوي، ولا كذلك أفعال مثل الوعد أو الإخبار فمثلها لا يحتاج إلا إلى العرف اللغوي.³

11_ الاختلاف في أن تكون الأفعال قابلة للأداء أو لا تكون، فمعظم الأفعال الإنجازية قابلة للأداء مثل أقرر، أعد، أمر، استنتج، لكن ثمة أفعالاً لا تؤدي بالقول فقط، فأنت لا تستطيع أن تقنع شخصاً بشيء بقولك إن اقنعك أو أن تفزع به بقولك: أنا أفزعك. فليس كل الأفعال الإنجازية أفعالاً أدائية.⁴

12_ الاختلاف في أسلوب أداء الفعل كالاختلاف بين الإعلان والإسرار، فهما لا يختلفان في الغرض الإنجازي، ولا في المحتوى القضوي، بل يختلفان في أسلوب الأداء وحسب.⁵ للقوة الإنجازية سمات مميزة لها، وقد حاول سيرل حصر أهم خصائصها والتمثلة في:

1- المرجع نفسه، ص 175.

2- المرجع نفسه، ص 175-176.

3- محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال للكلامية، مرجع سابق، ص 176.

4- المرجع نفسه، ص 176.

5- المرجع نفسه، ص 176.

1_ نسبية القوة: لما كانت القوة الإنجازية لفعل كلامي تعني الشدة أو الضعف اللذين يعبر بهما عن غرض إنجازي بعينه، في موقف اجتماعي بعينه، ولما كان لكل من الشدة والضعف درجات متفاوتة، فإن القوة الإنجازية ينبغي لها أن توصف بأنها نسبية ومن ثم قيل إن (الأمر مثلا) غالبا ما يكون من أقوى أنماط الغرض الإنجازي التوجيهي وأنه الأشد تحققا ومباشرة، إلا أن هذا يستعصي على التسليم من جهة الاستعمال اللغوي، فاستعمال (يجب وينبغي مثلا) تكون أكثر ملائمة للمتكلم إذا كان في موضع الأمر للمخاطب، أما الفعل (أدخل) ردا على طرق الباب تكون إذنا بالدخول وليس أمرا، ومن ثم فنسبية القوة تحدد طبقا لقصد المتكلم والقرائن المحيطة بالخطاب " 1.

أي أن القوة الإنجازية نسبية، فهي تختلف من فعل لآخر بدرجات متفاوتة، ويتحكم فيها قصد المتكلم وكل ما يحيط بالخطاب من ظروف.

2_ تعديل القوة: « والمراد بتعديل القوة الإنجازية عو تكيف المخاطب لمنطوقه مع مقصده في سياق اتصالي بعينه... ومن الطبيعي أن غرض المتكلم هو الذي يحدد استراتيجية القوة الإنجازية المؤدى بها التعبير من حيث كونه غرضا أو التماس تهديدا أو احتجاجا مدحا أو قدحا... فكل سلوك اتصالي موجه إلى هدف معين. 2

ويقصد بتعديل القوة الإنجازية أي أنها تحتاج إلى تكيف، ويتحقق هذا التكيف من خلال التوافق بين ما يتلفظه المتكلم وما يهدف إليه.

3_ وسائل تعديل القوة: وهي نوعان لغوية وغير لغوية:

أ_ غير اللغوية: وتتمثل في الحركات الجسدية، وتعبيرات الوجه والإيماءات، ويتجلى دورها في إظهار موقف المتكلم عند استعماله إياها أثناء كلامه، وبالتالي فإن لها أثر كبير في تقوية أو إضعاف القوة الإنجازية.

ب_ اللغوية: وتكون إما تركيبية أو غير تركيبية، وتتمثل في:

¹-حانو نور الهدى، أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص لسانيات عربية، قسم اللغة العربية والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018/2019، ص 27.
²-المرجع نفسه، ص 27-28.

_ الصيغة (فالعمل الإنجازي _ حسب سيرل _ غالبا ما يكون مضارعا في صيغة المتكلم الحاضر، وصيغة الإخبار، والمبني للمعلوم، نحو قولهم: إني أمرك، إني أعدك، أنا أنصحك).

_ نغمة الصوت: حيث تختلف نغمة التحذير عن السؤال أو الاعتراض...

_ أدوات الربط نحو: (من أجل ذلك) التي تستخدم في قوة (أستنتج) (وعلى الرغم من ذلك) التي تستخدم في قوة (أسلم بأن).

_ ملاسبات المنطوق: وهي تساعد مساعدة مهمة للغاية في تحديد الغرض. فالأمر يمكن أن يكون أمرا أو إذنا، أو اقتراحا....

_ مصاحبات المنطوق: كأن تجعل منطوقك مصحوبا بحركة جسمية ك (إشارة إصبع أو غمزة العين...).¹

ومما قدمه سيرل أيضا أنه أعاد النظر في تصنيف أوستن في الأفعال الإنجازية، فبين ما فيه من أوجه الضعف واهمها جميعا أنها لم تقم على أساس واضح أو متين أو على مجموعة من الأسس، ولم يسلم منها فيما يرى إلا صنف واحد هو التعهديات commissives فقد صنفه أوستن على أساس منهجي واضح هو الغرض الإنجازي، فكان على سيرل أن يقدم تصنيفا بديلا للأفعال الإنجازية أحكم وأضبط، وقد أقام تقسيمه على أسس منهجية (الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شرط الإخلاص)، وينص على أنها أهم الأبعاد جميعا، فميز بين أربعة أفعال تنجز معا في الوقت نفسه، نوضحها في الأمثلة التالية:

1_ جون يفطر في التدخين.

2_ هل يفطر جون في التدخين؟

3_ عليك أن تفطر في التدخين يا "جون".

4_ الجو لا يطاق بتدخين "جون" المفطر.²

فإننا نقوم بأربعة أمور: عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم بفعل التلطف أو فعل القول acte d'énonciation: ³يتمثل في التلطف بعبارات لغوية ما طبقا للقواعد الصوتية

¹-حانو نور الهدى، المرجع السابق، ص 28.

²-خديجة بوخشة، المرجع السابق، ص 27.

³-المرجع نفسه، ص 27.

والتركيبية لتلك اللغة على نحو صحيح (وهو يضم كل من الفعل الصوتي والتركيبى عند "أوستن")¹.

والملاحظ أن هذه العبارات تشترك في:² المحتوى القضوي Acte propositionnel (التدخين المفرط ل"جون") وهو تقابل الفعل الدلالي في النموذج "الأوستيني" الذي كان جزءا من "فعل القول" بالإضافة إلى الفعل الصوتي والتركيبى، إلا أن "سورل" جعله قسما مستقلا عن هذه الأفعال، وينقسم الفعل القضوي حسبه إلى فرعين أساسيين وهما الفعل الإحالي والفعل الحملى.³

_ الفعل الإحالي "Acte de référence" : يسهم في ربط الصلة بين المتكلمين (المتكلم والسامع)⁴ ويمكن توضيح ذلك من خلال الأمثلة التالية:

1_ معسكر مدينة العلماء.

2_ أخبركم بأن موجة الحر ستكون بعد يومين.

في الجملة الأولى تحيل كلمة "معسكر" إلى اسم علم لمدينة معينة، أما في الجملة الثانية فهي تحيل إلى "الأنا" التي ورد بصيغة "أخبركم".

وما تجدر الإشارة إليه هو أن "سورل" قد ميرز بين الإحالة "كفعل" والإحالة كنتيجة، ذلك أن الكلمات التي تكون جملة ما إذا أعزلت عن سياق المتحدثين بها تكون كلمات معجمية ذات معنى عام وتفقد دلالاتها على التخصيص أو التعريف أو التحديد.

_ الفعل الحملى Acte prédication: "هو الإسناد، أي أن نسند نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المحال عليه كأن نحمل على شخص أعلن عليه فعل شيء ما، أي أن ننسب إليه فعل ذلك الشيء.

كما ميز "سيرل" بين الحمل كفعل والحمل كنتيجة، ذلك أن المتكلم هو الذي يسند إلى الموضوع محمولا ما قد يكون فعلا أو صفة بغض النظر عن الغرض المنجز الذي قد يكون أمرا أو تمنيا أو إخبارا أو تهديدا.⁵

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 45.

2- خديجة بوخشة، المرجع السابق، ص 27.

3- آمنة لعور، مرجع سابق، ص 118.

4- المرجع نفسه، ص 119.

5- آمنة لعور، مرجع سابق، ص 120.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الفعل الإحالي والفعل الحلمي يشكلان معا قضية واحدة proposition ومع ذلك لا تعتبر القضية فعلا كلاميا.¹

كما أن لكل عبارة من العبارات السابقة فعل إنجازي Acte illocutionnaire ولا يختلف ما اقترحه "سيرل" في هذا القسم من الأفعال عما اقترحه أستاذه "أوستين". فالفعل الإنجازي دائما هو الفعل الذي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به، فقد يكون أمرا مثلا أو تهديدا أو نصحا أو تمنيا مثل: أمرك، أنصحك، أعدك.²

كما ينبغي أن نشير إلى أن الفعل الإنجازي والفعل القضوي لا يقعان منفصلان، بل كلاهما مركب ومكمل للآخر، ونص على هذا سيرل بقوله « أن الفعل القضوي لا يقع وحده بل يستخدم دائما مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب، لأنك لا تستطيع أن تتطرق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد من نطقه ».³

كما أن كل عبارة تخلف نتائج (الفعل التأثيري acte perlocutionnaire) وهنا أيضا نحى سيرل نحو أو سنن ولم يختلف عنه حتى كون أن فعل التأثير هو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا. وسرعان ما تدارك سيرل تقسيمه هذا واقترح خمسة أصناف للأفعال الكلامية، يمكن عرضها على النحو التالي:

1_ « الأفعال التصويرية / الإخباريات Actes représentatifs Assertifs: إن الغرض من ها هو الغرض التقريري واتجاه المطابقة في الغرض التقرير هو من القول إلى العالم، والغرض الإنجازي منها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية proposition يعبر بها عن هذه الواقعة ولا يوجد شرط عام للمحتوى القضوي في التقريريات إذ أن أية قضية يمكن أن تشكل محتوى في التقريريات، والشرط المعد لجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجع أو تؤيد صدق المحتوى

1- المرجع نفسه، ص 120.

2- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 72-73.

3- المرجع نفسه، ص 73.

القضوي والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد،¹ أي أن هذه الأفعال تخضع لمقياس الصدق والكذب.

يقترح سيرل ترميز هذه الطبقة من الأفعال الإنجازية كالتالي:

— |ب (ب).

أو — العلامة الفريجية (frégen) للتأكيد.

↓ وهي علامة يأتي بها سيرل للتعبير عن توجيه مطابقة الكلمات للعلم.

ب لبلييف (Belief) والاعتقاد و(ب) وهي للمضمون القضوي.

وهكذا تجهد الكلمات نفسها لمطابقة الواقع، فالحالة المعبر عنها هي الاعتقاد، كيفما كانت

درجته،² وربما تقترب هذه الدرجة من الصفر أو تبليغه، وأبسط اختبار للفعل التصويري هو

أنك تستطيع أن تميزه حرفياً على أنه صادق أو كاذب.³

2_ الأفعال التوجيهية الأمرية Actes directifs: الغرض منه هو الغرض الأمري (الطبي)

واتجاه المطابقة في هذا الغرض يكون من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة

هو المخاطب، ويتمثل الغرض الإنجازي في هذا الصنف في المحاولات التي يقوم بها المتكلم

للتأثير على السامع لينجز له فعلاً ما وقد تكون هذه المحاولات لينة كقوله مثلاً: (أعزيك...)

(أناشدك...) وقد تكون عنيفة كأن يقول (أصر على أن تفعل...) أي أن الغرض من هذه

الأفعال هو أن يحاول المتكلم جعل السامع يقوم بفعل ما.⁴

والشرط العام للمحتوى القضوي هو أن يعبر عن فعل مستقبل للمخاطب، أما الشرط المعد

لها فهو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه، والحالة النفسية التي يعبر بها في الأمريات

هي الإرادة أو الرغبة want or desire والأمريات تخلف أسباباً للمخاطب كي يؤدي

المطلوب منه.⁵

ورمز هذا الصنف: ! (ص ينحرف) حيث (!) تمثل الغرض الإنجازي () هو اتجاه

المطابقة أي مطابقة العالم للكلمة، (غ) تمثل الحالة السيكلوجية (رغبة أو أمنية) (ص) يمثل

¹ طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، ص 3.

² فرانسوا أرمينكو، مرجع سابق، ص 66.

³ طالب سيد هاشم الطبطبائي، مرجع سابق، ص 31.

⁴ صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص 233.

⁵ طالب سيد هاشم الطبطبائي، مرجع سابق، ص 31.

المستمع، و(ف) يشير إلى الفعل الكلامي الذي سينجزه المستمع في المستقبل، والأفعال التي تندرج تحت هذا الصنف هي "أطلب، أرجو، أسأل، ألتمس، أناشد، أتضرع، أستعطف، أشجع، أسمع، أنصح".¹

3_ الأفعال التعبيرية (البوحية Actes Expressifs): إن الهدف الغرضي لهذه الفئة هو التعبير عن حالة سيكولوجية محددة في شرط الإخلاص بشأن حالة في الواقع محددة في المحتوى القضوي،² ولا يوجد اتجاه مطابقة في الأفعال المعبرة، وبأداء الفعل لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليمائل الكلمات ولا الكلمات لتمائل العالم، والأخرى أن صدق القضية المعبرة عنها يكون مفترضا.³

والصورة الرمزية لهذه الفئة هي:

ع Ø ك (س / ب + ملكية)؟

حيث تدل (ع) على الهدف الغرضي المشترك بين الأفعال المعبرة، و (Ø) هو الرمز الفارغ الذي يدل على عدم وجود اتجاه المطابقة، و(ك) هو المدى المتغير على طول الحالات السيكولوجية المختلفة الممكنة المعبر عنها في أداء الأفعال الغرضية في هذه الفئة. (س) هو المتكلم و (ب) هو المستمع، ويمنح المضمون القضوي خاصية للواحد أو الآخر، ويقوم محتوى القضية (س/ ب + ملكية) على إسناد خاصية، ليست بالضرورة فعلا، إلى المتكلم (س) أو إلى المخاطب (ب) إذ إن المتكلم يستطيع مثلا أن يهنئك ليس على فوزك في السباق فحسب، بل على شكك الحسن.⁴

4_ الأفعال الإلزامية (الوعدية) Actes commissifs : يسلم سيرل بأن تعريف أوستن تعريف رائع، ويأخذه كما هو غير أنه يضع عليه اعتراضا تافها _ على حد تعبير _ مؤداه أن كثيرا من الأفعال Verbs التي أدرجها أوستن في قائمة على أنها إلزامية لا تنتمي إلى هذه الفئة على الإطلاق مثل "سوف" و"أقصد"، قام بإلغائها. الأفعال الإلزامية إذن هي الأفعال التي الغرض منها إلزام المتكلم على القيام بعمل ما في المستقبل.⁵

1-فرانسواز أرمينكو، مرجع سابق، ص 66-67.

2-المرجع نفسه، ص 66.

3-طالب سيد هاشم الطبطبائي، مرجع سابق، ص 31.

4- معن زيادة، مرجع سابق، ص 1336.

5-صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص 234.

والغرض منها هو الغرض الوعدي (واتجاه المطابقة في الغرض الوعدي هو من العلم إلى القول، والمسؤول عن أحداث المطابقة هو المتكلم) أما الشرط العام للمحتوى القضوي في الوعديات فهو أن تمثل القضية فعلا مستقبلا للمتكلم. والشرط المعد هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به، والحالة النفسية يعبر عنها في الوعد هي القصد intention.¹ وتمثيلها كالاتي:

ل أ م [(ك) ينجز (أ)]

(ل) يقصد الالتزامات.

أ نشير إلى أن على العالم أن يطابق الكلمات.

م (مقصد) ويشير إلى وجود شرط الإخلاص، الذي هو المقصد.

ك (متكلم) وهو المتكلم.²

من الواضح أن للتوجيهات والوعديات الاتجاه ذاته من حيث تطبيق العالم على الكلمات، لكن ما منع سيرل من جمعها في صنف واحد هو اختلافهما من جهة الفاعل، فهنا المتكلم هو الفاعل في التوجيهات.³

5_ الأفعال الإعلانية (الإيقاعية) Actes Déclaration : بالإضافة إلى هذه الأصناف يرى سيرل أن ثمة مجموعة خامسة من الأفعال المتعلقة بالقول، تتميز عن البقية يكون حالة الأشياء المستفاد من القضية تتحقق عند مجرد التصريح ، أي أن القول بأمر ما هو إحداث لذلك الأمر، مثال ذلك: أنا أقدم استقالتي، أنت مطرود من الوظيفة، أوقعت عليك الجرم.⁴

الغرض من البوحيات فهو التعبير عن موقف حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية (واتجاه المطابقة في غرضها هو الاتجاه الفارغ) ويبدو أنه ليس ثمة شرط عام محدد للمحتوى القضوي في البوحيات لكن القضايا التي تتضمن أكثر البوحيات ترتبط بنحو ما بالمتكلم أو المخاطب والشرط المعد لأغلب البوحيات هو تحقق المحتوى القضوي سلفا، إذ أن المتكلم إنما يعبر فيها عن حالته النفسية اتجاه الواقعة المفروض تحققها.⁵

1-طالب سيد هاشم الطبطبائي، مرجع سابق، ص 30-31.

2- فرانسواز أرمينكو، مرجع سابق، ص 67.

3-معن زيادة، مرجع سابق، ص 136.

4-المرجع نفسه، ص 136.

5-طالب سيد هاشم الطبطبائي، مرجع سابق، ص 32.

ويرمز إليها بالتالي:

(!) Ø ق ⇕

(!) يشير إلى نقطة إنجاز إدلائية.

وتشير ⇕ إلى أن التقابل بين الكلمات والعالم يقام دون إيجاد مسافة ما.

Ø ويشير إلى غياب شرط الإخلاص.

(ق) وهو المضمون القضوي.¹

والسمة المميزة لها أن أداءها الناجع يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي،

فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحاً فالحرب معلنة، وثمة سمة أخرى مميزة هي أنها

تحدث تغييراً في الوضع القائم... ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص.²

_ الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

فرق أوستن بين الأفعال اللفظية والإنجازية، وفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة

والأولية، ثم جاء بعده تلميذه سيرل فسار في طريق أستاذه أوستن وفرق بين الأفعال

الإنجازية المباشرة Direct وغير المباشرة indirect وهناك تسميات أخرى مثل " الحرفية،

Literal، وغير الحرفية non literal، أو الثانوية secondary والأولية primary".³

_ الأفعال الإنجازية المباشرة: يمثل الفعل المباشر عند سيرل الفعل الذي يطابق قوته

الإنجازية مراد المتكلم : أي أن يكون القول مطابقاً للقصد بصورة حرفية تامة، ويتمثل في

معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة

ويستطيع المتلقي أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معا.

وعرف سيرل الفعل المباشر بأنه الذي يتلفظ به المرسل في خطابه، وهو يعني حرفياً ما

يقول، وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثراً إنجازياً على المرسل إليه يدرك قصده

في الإنجاز.⁴

1- فرانسواز أرمينكو، مرجع سابق، ص 68.

2- صلاح إسماعيل عبد الحق، مرجع سابق، ص 235.

3- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 80.

4- المرجع نفسه، ص 80-81.

بمعنى أن الفعل الإنجازي المباشر هو ما يطابقه ملفوظه غرضه الإنجازي، بمعنى أن يستطيع المرسل إليه فهم مقصد المرسل مباشرة دون تفسير أو تأويل ويفهم كذلك معنى واحد وهو المقصود.

ب_ الأفعال الإنجازية غير المباشرة: تعرف الأفعال الإنجازية غير المباشرة بأنها الأفعال الضمنية التي تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحقيقها والتوجيه إليها، وتشتمل على معان عرفية وحوارية، وقيل بأنها استراتيجية لغوية تلميحية يعبر بها المتكلم عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطاب، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق.¹

وهنا لدينا الأفعال الإنجازية غير المباشرة معناها الإنجازي يتعدى معناها الحرفي، وهذه الإضافة في المعنى يوضحها السياق أكثر.

وقد حدد محمود أحمد نخلة مجموعة من القواعد تساعد على التمييز بين الاستعمال المباشر والغير مباشر، وتتمثل هذه القواعد في:

1_ أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية وموكولة إلى المقام لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.²

2_ أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك: تذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وفي الاستفهام.³

3_ أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث السلطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه، ومن هنا لم تعن النظريات الشكلية إلا بالقوة الإنجازية المباشرة أو الحرفية، أما غير المباشرة أو غير الحرفية فتقع خارج نطاق اهتماماتها.⁴

1- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 81.

2- المرجع نفسه، ص 83.

3- المرجع نفسه، ص 83.

4- المرجع نفسه، ص 83.

المحاضرة العاشرة: المدرسة الخيلية (عبد الرحمن الحاج صالح

).

التعريف بعبد الرحمان الحاج صالح:

ولد في مدينة وهران أكبر ولايات الغرب سنة؛ 1927م، تقدم إلى الكتاب كما يتقدم سائر طلاب العلم لحفظ القرآن الكريم، وتعلم في أحضان جمعية علماء المسلمين الجزائريين، بداية دراسته كانت في مصر، وبعدها انتقل إلى بوردو وباريس، تحصل على التبريز من باريس ودكتوراه الدولة من جامعة السوربون في باريس، نزل أستاذا بجامعة الرباط سنة؛ 1961م إلى سنة 1962م وبجامعة الجزائر بعد ذلك وكما نرى فإن الأحداث التي مر بها الأستاذ أثرت على حياته العلمية. فنشأته في جمعية علماء المسلمين، ثم رحيله إلى الجامعة الأزهرية، حيث أدرك قيمة التراث اللغوي العربي، وعمله في المملكة المغربية واحتكاكه بعلم الرياضيات هناك، كل هذا عجل بصقل شخصيته الفذة، مما سمح للرجل شغل 04 مناصب علمية وإدارية¹.

منها على التوالي:

- مدير معهد العلوم اللسانية بالجزائر.
- مدير مركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية².
- عين رئيسا لمجمع اللغة العربية منذ سنة: 2000م.
- عضو المجامع اللغوية العربية الآتية: دمشق وبغداد وعمان والقاهرة³.

¹ ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2007 (، ورقة الغلاف).

² ينظر: التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، دار الوعي، دط، 2008م، ص140.

³ ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، (ورقة الغلاف).

أهم مؤلفاته وأعماله:

له عدة جهود لغوية وعلمية في ميادين مختلفة، فقدّم العديد من الدراسات والأبحاث وقام بمداخلات كثيرة للتعريف باللسانيات وعلومها بدقة¹، وعرف القارئ العربي باللسانيات العربية وأساسياتها، أسس لنظرية لسانية سماها النظرية الخليلية الحديثة، وألف عدة كتب منشورة أهمها:

- السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة.

- وكتاب بحوث ودراسات في علوم اللسان العام.

- وكتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.

- وكتاب علم اللسان العربي وعلم اللسان العام في (مجلدين) الجزائر².

- أربع مقالات: الخليل بن أحمد و الأخفش و ابن السراج و السهيلي في موسوعة أعلام العرب (المنطقة العربية للتربية والثقافة و العلوم).

- مقالة لغة و مقالة معارف في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة ليدن.

- تكريم الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة بتعيينه رئيساً للمجمع الجزائري للغة العربية.

إرهاصات تشكل الخطاب اللساني الحديث:

ترجع بداية تكون فكر لغوي حديث عند العرب، مع ما ظهر في منتصف القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، حيث سادت هذه الفترة منهجين لغويين تجلياً على التوالي وهما المنهج التاريخي المقارن، ثم بعد ذلك المنهج الوصفي، وكما هو معروف تأثرت الدراسات العربية بذلك من خلال كتاب إبراهيم اليازجي ورفاعة الطهطاوي، وجرجي زيدان، قدم اليازجي سنة 1881 م محاضرة بعنوان " أصل اللغات السامية"، وضع فيها

¹ فائزة مختاري، التعليمية عند عبد الرحمن الحاج صالح، مذكرة ماستر، الجزائر، 2017م، ص 14.

² عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، مرقم للنشر، دط، الجزائر، 2007 م، د ص

³ ينظر حافظ اسماعيلي علوي: المرجع نفسه، ص 34-35

المنهج التاريخي، ومن خلاله قام بتصنيف اللغات بحسب قرابتها، ويظهر تأثر الطهطاوي في محاولته التمييز بين اللغة العربية واللغة الفرنسية وغيرها من اللغات³.

أما المنهج الوصفي فقد ظهر بعد عودة البعثات الطلابية من الجامعات الأوروبية¹ إلى أوطانهم، والنموذج المصري صالح لضرب المثال هكذا مقام، فقد كان للجامعة المصرية السابق في الاتصال بالدرس اللساني الحديث منذ مطالع الأربعينيات، ويعود(1890-1960)، J.R.Firth فضل هذا الاتصال لجون روبرت فيرث، أستاذ اللسانيات العامة في جامعة لندن ما بين عامي؛ 1944 و 1960 م¹، ومن بين أولئك الطلبة آنذاك إبراهيم أنيس (1944 و1906م)، ومن بين الطلبة إبراهيم أنيس(1906-1975م)، و قد ساد الاتجاه الوصفي بعد تجليات جهود جاءت بعد محاولات إبراهيم أنيس².

يظهر أن بداية النهضة العربية عرفت تشبث اللغويين العرب بالتراث، غير أن هذا لا يغني تفوقهم على موروثهم بل كانوا على إطلاع بمستجدات الدراسات الغربية.

¹ ينظر حافظ اسماعيلي علوي، المرجع السابق، ص 34-35
² ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، المرجع نفسه، ص ص 42-44

-النظرية الخليلية ومشروع الذخيرة العربية:-

النظرية الخليلية خصوصياتها و معاييرها:

هذه النظرية اللسانية تعد استمرار للجهود الأصلية التي قدمها علماء العربية المتقدمون مراعين فيها خصوصية هذه اللغة وتميزها وقداستها أمثال: الخليل؛ سيبويه؛ أبي علي الفارسي...

إن الناظر في التاريخ اللسانيات العربية الحديثة يجد أن جل اللسانيين العرب المحدثين قد اهتموا اهتماما يكون كليا في المنجز اللساني العربي بمختلف مدارسه وتوجهاته. وكما كان لهذا الاهتمام آثاره الايجابية فقد كان له آثاره السلبية التي من أبرزها الانتهاز بهذا المنجز ومن ثمة التقليل من قيمة المنجز اللغوي العربي التراثي على الرغم من الاطلاع المحدود عليه. حيث صار بقيم هذا المنجز بما توصل إليه الدرس اللغوي فما وافقه فهو العلمي الذي ينبغي الأخذ به والتنويه بقيمته. وما لم يوافقه حكم عليه بعدم العلمية، ومن ثمة يجب رفضه، وكانت العلمية ذكر على هذا الوافد، هذا الواقع جعل اللساني العربي يتقصد ذاتا غير ذاته، ويتبنى كل ما يأتيه من هذا الآخر دون تمحيص أو غربلة هذا هو الحال أو واقع المادة اللسانية النظرية التي كثيرا ما درست وكرست بهذا العيب في الجامعات العربية. أما على مستوى التطبيقي فكثيرا ما كانت تلك التطبيقات مشوهة تعوزها الدقة ومراعاة خصوصية هذه اللغة. لأن النظريات الوافدة قد روعي فيها بناء معالمها وأصولها لغات تختلف أشد الاختلاف عن اللغة العربية (التوليدية التحويلية مثلا روعي فيها خصائص اللغة الانجليزية) ومن ثمة فتطبيقها على لغة أخرى مختلفة عنها تمام الاختلاف كاللغة العربية سيكون قيد تعسف كبير، ولكن لا يمكن تعميم هذا الواقع على كل المنجزات اللسانية العربية فقد ظهرت بعض التوجهات جعلت العلم الأصيل المؤبد بالدليل منطلقا لها، فمل تقدم القديم ولم تعظم الحديث، بل حاولت فتح باب الاستفادة من كليهما جاعلة منطلقها المنجز التراثي لعمليته وخصوصيته النظر فيه وارتباطه بالعربية. ومن هذه التوجهات ما يعرف بالنظرية الخليلية الحديثة التي أرسى دعائمها عبد الرحمن الحاج صالح ومن نهج نهجه هذه النظرية تبنى أساسها على إعادة أحياء الفكر اللغوي التراثي وإخضاعه أو تطويره حتى يتوافق مع

متطلبات الرؤية الحديثة (متطلبات الحوسبة اللغوية؛ متطلبات تعليم اللغة العربية بمراعاة التقنيات الحديثة، متطلبات معالجة بعض الأمراض...) ³³².

ومن أجل معرفة قيمتها وتميزها حاول متبنوها مقارنتها بأحداث النظريات اللسانية الحديثة كالنظرية البنوية، والنظرية التوليدية والتحويلية، والمطلع على هذه النظرية تأخذه الحيرة والعجب حيث يجد نفسه يطرح السؤال الآتي: لما يقبل اللسانيون العرب على هذه النظريات الغربية وفي أيديهم نظرية لا تقل علمية مما قدم عند الغربيين يقول الحاج صالح، ومن الغريب جدا أن تكون هذه الأعمال التي لا تقل أهمية عن أعمال أكبر العلماء المحدثين في العلوم الأخرى مجهولة تماما عدد أكثر الناس، بل ومجهولة في كنهها وجوهرها عند كثير من الاختصاصيين المعاصرين. ومن بين أسباب التي يوردها لتفسير هذه الغربة المسلطة على هذا التراث العربي العلمي أولا: هذه المعرفة السطحية للتراث والمفاهيم العلمية الحديثة بما فيها العلوم الدقيقة وعلم المعرفة (العلمية الاستمولوجية).

وثانيا: استغلاق ما تركه الفطاحل من علماء الصدر الأول على أفهام الكثير من المتأخرين والمحدثين.

ثالثا: الخضوع المطلق لما قاله الغربيون في القرن الماضي أن تطور المعرفة هو خط تسلسلي من البدائيات إلى ما هو أرقى منه.

ويذكر في مقال آخر الصفات التي يتصف بها البحث اللساني العربي الحديث والتي جعلته لا تقدم على هذا المنجز منها: -التبني دون نظر سابق لما جاءنا من الغرب من أقوال ومذاهب لغوية بدعوى أنهذه الأقوال هي آخر ما توصل إليه العلم الحديث وأن الباحثين العرب لم يبلغوا بعد مستوى الاجتهاد.

التعصب الناتج عن القصور وقلة الإلمام لمذهب غربي واحد لكون هذا الباحث قد تخرج على يد ذلك العالم الغربي صاحب المذهب المعنى به.

¹ كراسات المركز العدد الرابع منشورات وزارة التعليم العالي، الجزائر، ص988.

أما عن فكرة تأسيس لهذه النظرية فيقول وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص مبادئ اللغة وبخاصة ما تركه لنا سبويه وأتباعه وممن ينتمي إلى المدرسة الخليلية. وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما وصلت إليه اللسانيات الغربية وكانت النتيجة أن تكون مع مرور الزمان فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناه الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسبويه ومن تابعه، ولكن بعد التمحيص لما تركوه من الأقوال والتحليلات، أي بعد التحليل النقدي الموضوعي لها. والذي حفزهم أكثر هو صحة الأوصاف وصحة التحليلات التي قدمها هؤلاء العلماء والتي توصلت إليه اللسانيات الغربية، يقول الحاج صالح ازدهرت البحوث اللغوية الحديثة بفضل ما وضعه العلماء من نظريات عميقة حول اللغة، وبفضل ما تحاوله هذه البحوث من استثمار واسع لهذه النظريات، ومستقبل كل البحوث اللغوية في اعتقادنا بمدى نجاح هذا الاستثمار بالنسبة لكل لغة.

-النظرية الخليلية الحديثة :-

تحاول هذه الدراسة كما يدل عنوانها أن تقدم لمحة مختصرة ومحددة من الكفاية العلمية في النظرية الخليلية الحديثة للساني الجزائري الأستاذ الدكتور عبد الرحمان الحاج الصالح، من خلال استعراض مكونات كفاءتها العلمية المتمثلة في (الأصالة، الاستقامة، التفريغ العامل...) وذلك من خلال مجالين هما:

- مجال مناهج التدريس التي تقوم على جملة من المبادئ للمتعلم.
- مجال تعليمية النحو العربي الذي يأخذ بعين الاعتبار الفرق بين النحو التعليمي والنحو العلمي.

- ترجع أصول النظرية الخليلية الحديثة إلى الأعمال الجليلية الرائدة التي قدمها الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ) مجسدة في أول معجم عربي هو معجم العين، وفي آراءه العلمية الخصبة التي تربو على استمالة رأي ضمنها تلميذه سبويه كتابه المشهور بالكتاب، فضلا عن أفكار هذا الأخير الذي تمكن بعبقريته وذكائه أن يبسط أفكار أستاذه، ويوسعها ويطورها،

ويضيف إليها الكثير من أفكاره التي خالف فيها أستاذه أو وافقه أو رجح بعض آراءه، مكونا بكل ذلك نظرية علمية أصيلة شغلت النحاة وعلماء اللغة بعده ردحا من الزمن.

إن هذه الأفكار الثرية العميقة التي بنى بها سبويه نظرية لغوية بلغت من السعة والشمول والدقة درجة عالية، جعلتها محطة اهتمام كثير من الباحثين والدارسين المحدثين العرب والغربيين المستشرقين بصفة خاصة³³³.

ومن اللغويين العرب القلائل الذين تفرغوا للنظرية سبويه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي عكف عليها وكرس لها ما يناهز نصف قرن من حياته، تمكن خلاله بفضل رسوخ قدمه في التراث اللغوي العربي بفهم مميز أصيل لأفكار الخليل وسبويه وحسن اطلاعه واستعانة للنظريات اللغوية الحديثة بصفة عامة، ونماذج النظرية التوليدية التحويلية ولاسيما النموذج العاملي بصفة أخص، حيث تمكن من إغناء الدراسات اللغوية الحديثة بنظرية لغوية حديثة أسماها النظرية الخليلية الحديثة وهي نظرية تجمع بين الأصالة القديمة ممثلة في إحياء أفكار و مفاهيم الخليل وسبويه .. والحدثة ممثلة في انتقاء ما يتألفويتقارب من تلك الأفكار والمفاهيم، مكونة بذلك نظرية متماسكة قديمة في أصولها حديثة في منهجها وتوجهها العلمي والتكنولوجي. لها مفاهيمها العلمية التي تكون كفايتها العلمية ومبادئها الأساسية التي تكون كفايتها الدراسية أو التطبيقية بصفة عامة وكفايتها التعليمية بصفة خاصة.

أ- الكفاية العلمية:

وقد تجسدت في جملة من المفاهيم بتقاطع أغلبها مع مفاهيم النظريات النحوية الحديثة كـ بعض مفاهيم البنيوية وبعض مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية والوظيفية والتداولية ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

1 - مفهوم الأصالة:

³³³ مداخلة قدمت في ملتقى دولي حول الأعمال العلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، يومي 3 و 4 جوان 2008.

وتتمثل في الموقف الايجابي من التراث النحوي الذي قدمه الرعيل الأول من النحاة، حيث تتجسد في التقاء مفاهيم بعض النظريات الحديثة كمفهوم البنية والزمرة والتحويلات والعامل وبين ما أبدعه الخليل ابن احمد وطوره وأنضجه تلميذه سبويه³³⁴.

2 - مفهوم الاستقامة: يميز سبويه بين السلامة الراجعة إلى اللفظ المستقيم الحسن والقبيح والسلامة الخاصة بالمعنى المستقيم والمحال ثم يميز بين السلامة التي يقتضيها القياس أي النظام العام الذي يميز لغة من لغة أخرى، والسلامة التي يقتضيها الاستعمال الحقيقي للناطقين الحقيقيين بأي لغة ما، وهو ما عرف عند سبويه بالاستحسان أي استحسان الناطقين أنفسهم³³⁵.

أ- مستقيم حسن: مثل أنت تقول أتبتك أمس وسأتيك غدا، فهو سليم في القياس والاستعمال أي مستقيم اللفظ من جهة نحوية حسن الاستعمال من جهة عقلية.

ب- مستقيم محال: مثال أن يقول أتيتك غدا وسأتيك أمس فهو مستقيم اللفظ من الجهة النحوية محال في المعنى من جهة عقلية لأنه يجمع بين متناقضين الماضي والمستقبل.

ج- مستقيم كذب: مثل قولك حملت الجبل وشربت ماء البحر، فهو مستقيم اللفظ من جهة نحوية لكنه كذب من حيث المعنى أي من جهة الواقع.

د- مستقيم قبيح: مثل قد زيد رأيت فهو مستقيم لفظاً، لكنه قبيح من حيث ترتيب مواضع كلماته لأنها فيغير مواضعها المقررة في النظام النحوي العربي.

هـ- محال كذب: مثل سوق أشرب ماء البحر أمس وهو مستقيم لفظاً من جهة النظام النحوي لكنه محال عقلاً، لأنه يجمع بين المستقبل سوف والماضي أمس.

3 - مفهوم الأصل والفرع:

من أهم المفاهيم الأساسية التي ارتكزت عليها النظرية الخليلية الحديثة مفهوم الأصل والفرع وهو الأساس المتين الذي أسس عليه الفكر النحوي العربي الأصيل حين اعتبر

³³⁴ مداخلة قدمت في ملتقى دولي حول الأعمال العلمية لعبد الرحمن الحاج الصالح يومي، المرجع السابق.
³³⁵ عبد الرحمن الحاج الصالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزء الأول، مرقم للنشر، الجزائر، 2012، ص 217.

الخليل ومن بعده سيبويه والنحاة بعده النظام اللغوي كله أصولّ وفروعا وهي فكرة قريبة من ثنائية الجمل الأصلية (kornel sentence) أو (phrases de base) التي تولدها القواعد التوليدية في الجمل المشتقة (dérivée phrases) التي تنتجها القواعد التحويلية، غير أن ثنائية الأصل والفرع أشمل وأدق لأنها لا تقتصر على التركيب فحسب وإنما تستغرق البنية اللغوية في شموليتها وكتبتها أفرادا وتركيبا، من ذلك مثلا أن النكرة أصل المعرفة والمذكر أصل المؤنث والمفرد أصل الجمع.

4 - مفهوم التفريغ:

وهو مفهوم قريب من مفهوم التحويل في النظرية التوليدية التحويلية غير أنه في النظرية الخليلية تحويل عربي أصيل أعمق وأدق يبني على ما يضاف إلى نواة الجملة والأصل أو نواة الكلمة من مباني تقابلها زيادة في المعنى، قد تكون على مستوى الجملة من باب التوكيد أو الحصر أو التخصيص، كما تكون بالزيادة والحذف وبالتقديم والتأخير³³⁶.

5 - مفهوم العامل: يرتبط العامل في النظرية الخليلية الحديثة ربط تبعية بالبنية التركيبية للجملة الفعلية، كانت أو اسمية فهو المحرك الحقيقي لعناصرها والضابط لترتيبها ولعلاقاتها المحددة لوظائفها التركيبية ولإسناد الحركات الإعرابية المناسبة لها ويمكن أن تقدم ملخصا موجزا لمفهوم العامل من خلال هذه المعادلة المجردة.

$$[ع ← م (1) ± م 1] ± خ$$

حيث ع: عامل، م 1: المعمول الأول ← يربط المعمول الأول بعامله ربط تبعية. بحيث لا يمكن لهذا الأخير التقدم عليه، م 2: المعمول الثاني، ± إشارة إلى تواجد العامل الثاني أو عدمه، خ: عنصر غير أساسي أو هو الخانة المخصصة الزائدة عن الإسناد ٦ سهم يشير إلى المعمول الثاني يمكن أن يتقدم على العامل الأول وعلى معموله.

³³⁶ عبد الرحمن الحاج الصالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزء الأول، مرقم للنشر، الجزائر، 2012، ص218.

-العامل عند النحاة الأوائل لا يقتصر دوره، كما سبقت الإشارة إليه، على الأثر الإعرابي وإنما يتعداه إلى العلاقة التي تربط بين مكونات أو عناصر الجملة، وهذا الربط كما يوضحه القدماء نوعان:

أ-ربط البناء: يربط بين العناصر الأساسية في الجملة بجملة من العلاقات أهمها علاقة الفاعلية التي تبنى فيها الفاعل على الفعل وعلاقة الابتداء بين المبتدأ أو المبنى عليه الخبر.

ب-ربط وصل: ويربط العناصر غير الأساسية بعضها ببعض، وأو بينها وبين العناصر الأساسية كالعلاقة بين المضاف وبين الصفة والموصوف ... وعلاقة هذه العناصر أساسية بالعناصر الأساسية، ومن خلال علاقة البناء أو الوصل التي تتم على مستوى البنية الأصلية يتم تفرغ بنى وتراكيب كثيرة عن طريق التشابك (l'émboîtement) أو التضمن (l'enchâssement) وطريق التكرار (récursivité).

6 - مفهوم المثال:

هو حد صوري (formal) إجرائي تتحدد به العمليات المحدثة للوحدات المعنوية والألفاظ فهو صورة تفرغية على مستوى الكلمة المفردة تنطلق من أصل أو جذر يشتق منه ما لا يحصر منالصيغ يسميها النحاة الأوائل المثل (schèmes) جمع مثال يمثل بكيفية صورية مجردة هيئة للكلمة بحيث يتم تكوين المفردات أو الكلمات في اللغة العربية بواسطة قولية جذر يتألف غالبا من ثلاثة أصوات أصلية هي جذر الكلمة المقترض () يرمز إليه بحروف أصلية هي الفاء الأصل الأول، والعين الأصل الثاني، والام للأصل الثالث، تمثل المادة الصامتية الأصلية لبنية الكلمة أو المفردة النواة (ف.ع.ل) يتولد عن هذه النواة عن طريق حروف الزيادة عشرة حروف، حروف جمعها الصرفيون في لفظة سألتمونيتها.

7 - مفهوم القياس:

يعتبر القياس مبدأ أساسيا عند النحاة الأوائل اعتمده في دراستهم اللغوية، وهو مبدأ علمي يتطابق مع المناهج العلمية الحديثة إذ تقتضي قواعد الشمول والاطراد، لذلك اعتبر النحاة العرب الأوائل النحو كله مقاييس يبنني على أساسها الكلام الصحيح والفصيح، على

أساس ذلك عرّفوا النحو بأنه علم بالمقاييس المستنبطة من كلام العرب، وعنوا بذلك القياس على المطرد الشائع من كلام العرب الفصحاء وقالوا قولتهم الشهيرة: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب".

وقد أقرت النظرية الخليلية هذا المبدأ إذ ترى أنه أداة إجرائية لاستنباط القواعد وإلحاق بعض العناصر اللغوية الأخرى لوجود علاقة بينهما والحقيقة أن القياس قريب من مبدأ الأصل والفرع فهو الوجه المكمل به لأن جوهر القياس كما يقول النحاة هو: إلحاق الفرع بالأصل بجامع" وهذا القياس يقتضي أربعة أشياء: أصل وفرع وعلّة وحكم وذلك مثلاً: أن تركيب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فتقول: "اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل فالأصل هو الفاعل والفرع هو ما لم يسم فاعله والعلّة الجامعة بينهما في الإسناد والحكم هو الرفع وقس على ذلك قول النحاة: الأصل في الأسماء الإعراب وفي الأفعال البناء والأصل في المبتدأ التعريف وفي الخبر التنكير.

وعلى هذا الأساس، يكون الأصل هو اطراد الظاهرة وكثرة ورودها ويكون الفرع قلنتها وان صدرت عن يوثق لعروبتة وعربيتة ويكون القياس هو إلحاق القليل بالمطرد الكثير.

8 - مفهوم الوضع والاستعمال:

تحليل فكرة الوضع والاستعمال على مرجعية في النظرية الخليلية الحديثة، قريبة من ثنائية القدرة والأداء في النظرية التوليدية التحويلية حيث يعني الوضع على المستوى الأول، اللسان باعتباره وصفاً علمياً للنظام القواعدي الذي يتجسد به الكلام أو الخطاب، ويعني الاستعمال على المستوى الآخر، الكيفية العفوية التي يجري بها الناطقون الأصليون لهذا النظام في واقع الخطاب ومن هذا يتضح أن رعيّل النحاة المبدعين كانوا يتمتعون بحس علمي كبير فقد كانوا لا يخلطون بين الوضع والاستعمال، إذ كانوا يفرّقون بين الوضع كنظام قواعدي مجرد يفترضه عالم اللغة وهو شيء مختلف تماماً عن الاستعمال الذي يصدر عنه

متكلم اللغة الأصلي، في حين خلط بعض النحاة المحدثين بينهما حين رفضوا ظاهرة الحذف أو التقدير التي يقتضيهما القياس ومنطق العلم بحجة أنهما لم تسمعا عن العرب...³³⁷

ب - الكفاية التطبيقية:

وتتعلق بأفكار وتصورات ومفاهيم ومصطلحات النظرية الخليلية الحديثة التي كانت محل قراءة فاحصة ودراسة متعمقة، موسعة أسفرت عن تطبيقات متعددة تجسدت في مشاريع لغوية ضخمة كمشروع الذخيرة اللغوية والرصيد اللغوي الأساسي إلى جانب أبحاث أجرتها فرق بحث مختصة ودراسات علمية أكاديمية (أطروحات الماجستير ودكتوراه دولة) مسّت مجالات متعددة ك مجال المعالجة الآلية للنصوص والترجمة الآلية وأمراض الكلام، وتعليمية اللغات... وإذا كان تتبع هذه المجالات بالتفصيل متعذرا ويحتاج إلى بحث خاص فإننا نكتفي هنا بمجال تعليمية اللغات بالتساؤل عن إمكانية تحويل بعض مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة إلى مفاهيم تعليمية بيداغوجية.

المبحث الثالث: موقع النظرية الخليلية الحديثة من النظريات اللغوية الحديثة

1- الاتجاه العلمي في التعامل مع الدرس اللغوي:

نشهد في السنوات الأخيرة بروز عدة نظريات لغوية على الساحة العربية، فقد تكاثرت محاولات الداعية بتجديد النحو وتيسيره، كما تنوعت المصطلحات، شريحة، كالإحياء والتبسيط والتجديد والتيسير وغيرها³³⁸.

وعليه يمكن حصر ثلاثة إتجاهات:

- الاتجاه الأول: يدعوا إلى هدم ما توصل إليه النحات الأولون لسبب ما فيها من صعوبات، وهذا ما فعله إبراهيم مصطفى وأحمد عبد الستار الجواري ومحمد المخزومي وشوقي ضيف وغيرهم.

³³⁷ مدونة الدكتور محمد صاري، قسم اللغة العربية، جامعة عنابة.

³³⁸ ينظر: خالد بن عبد الكريم بسندي، محاولات التجديد والتيسير في النحور العربي (المصطلح والمنهج: نقد ورواية)، الخطاب الثقافي، جامعة الملك سعود، الرياض، 2008، ع 3، ص 57.

-الاتجاه الثاني: دراسة النحو العربي القديم على طريقة أحد المناهج الغربية الحديثة، مما يؤدي إلى تحميل النص العربي ما لا يتحمله بعد إسقاطه على الدرس اللساني الغربي ودعاة هذا الاتجاه وعبد الفاسي المهري وداود عيد وطيب البكوش.

- الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه التوفيقى الذي جمع بين المناهج اللغوية الحديثة ونظرية النحو العربي القديم، ونجد فيه إنجازات عبد القادر المهيري في "نظرية ابن جني النحوية" وتأتي النظرية الخليلية الحديثة³³⁹ لعبد الرحمن الحاج صالح ضمن هذا الاتجاه محاولا الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

مشروع الذخيرة اللغوية:

الذخيرة العربية مشروع أمضى فيه عالم اللسانيات الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح جهدا كبيرا من وقته وفكره من أجل يراه حيا يزود هذه الأمة بجميع أنواع المعارف والعلوم والفتوحات العلمية التي تتحقق على المستوى العالمي، إضافة إلى الإنجازات العلمية والفكرية التي أنجزها الحضارة العربية الإسلامية.

العلامة الحاج صالح هالة التأخر الذي تعاني منها أمتنا العربية في استخدام التكنولوجيا الحديثة واستثمار الحاسوب في إنشاء بنك آلي أو محسوب من النصوص القديمة والحديثة سيمثل على التراث الثقافي والعلمي العربي المنقول إلى العربية ولهذا الحرس له من جهده وطاقته وطرق كل الأبواب لينبه إلى أهمية المشروع باعتباره إذا تحقق سيكون مؤسسا استراتيجيا لبناء نهضة وحضارة عربية على قواعد علمية مبنية يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تعريفه بمشروع الذخيرة أو الانترنت العربي نحن نريد أن نبحت عن المعلومات العلمية والتكنولوجية والدينية المعلومات التي لها قيمة والتي يصعب على الناس الوصول إليها في الحين الذخيرة من الصبي إلى العالم إلى السياسي إلى كل طبقات الأمة ويسجل سبب طرحه الفكرة هذا المشروع قائلا:

³³⁹ وهي نظرية تشرف بها لأول مرة عام 1979م، ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، 208.

لحظت أن كتابا واحدا ترجم وصار هو المرجع الوحيد للسانيين العرب مدة 40 سنة ويرى العلامة الحاج صالح أن تأخر العرب هو عدم وصول المعلومات لكافة الشعب لأن في الشعب أشخاص لهم مواهب عظيمة وليس لهم الإمكانيات لتنمية هذا الذكاء فلشمولية تعميم المعرفة في الشعب ونحن في عصر المشافهة، ولهذا أدعوا الحكومات العربية أن تكون مسؤولة عن هذا أما الفائدة التي تتحصل عليها حسبه فهي متعددة منها المعاجم الحالية التي تخص اللغة العربية والمحركة في البلدان تعتمد أساسا على المعاجم القديمة أما الذخيرة كمجموعة من النصوص فميزتها الأساسية إنها تخص اللغة العربية .

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، 1998.
2. ابن منظور، لسان العرب، دالر المكتبة العلمية، بيروت، ج 2.
3. أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، الجزء الرابع لبنان، 1435هـ، 2014م.
4. أحمد بن محمد علي الخيومي المقرئ المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987.
5. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ت. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1973، ج 3.
6. أحمد درويش، خليل مطران، شاعر الذات والوجدان، الدار المصرية، اللبنانية، لبنان، ط 2.
7. أحمد شوقي، ديوان أحمد شوقي، دار صادر، بيروت، الجزء الأول.
8. أحمد عمر المختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1988.
9. أحمد عمر هاشم، الإمام البويصري، وبردة المديح المباركة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الخامسة، العهد التاسع عشر، رجب 1418م، نوفمبر 1997م.
10. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2008.
11. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1988.
12. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الجزء التاسع والعشرون، الطبعة الأولى، 1365هـ-1946م.
13. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ-1993م.
14. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 3، 2005.
15. إدريس مقبول، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011.
16. أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، وائل للطباعة والنشر، عمان، ط 1.
17. بشير إبرير، رحلة البحث عن النص في الدراسات اللسانية الغربية، اتحاد الكتاب الجزائريين، د ج، الطبعة الأولى (2009)، 88 شارع ديدوش مراد، الجزائر (د ت)
18. جاء في لسان العرب البردة هي البرد وهو ثوب فيه خطوط، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 01، 1997، مادة (ترد)، وفي القاموس المحيط بمعنى: أكسية في متحف بهار، ينظر: الفيروز أبادي: قاموس المحيط مؤسسة حسين، بيروت، لبنان، ط 6، 1998م، مادة (برد)
19. جعفر سامسون، ت ج، محمد زياد كبة، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، د ج، د ط، النشر والمطابع، جامعة الملك سعود، (1417).

20. جعفري سامسون، تاج، محمد زياد كبة، مدارس اللسانيات التسابق والتطور.
21. جواد ختام، التداولية: أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2016م، 1437هـ.
22. جورج فندريس، اللغة تر : عبد الحميد الروخلي، مكتبة أنجلو المصرية، د ط، 1950م.
23. حازم علي كمال الدين، علم الدلالة المقارن، مكتبة الأدب للنشر، د ط، د ت.
24. حمد حماسة عبد اللطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشرق، القاهرة، ط 1، 1996.
25. حنفي ناهر، مختار لزعر، اللسانيات منطلقتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية د ج، د ط، بن عكنون، الجزائر (د ت).
26. خالد خليل هويدي، نعمة دهش الطائي، محاضرات في اللسانيات، مكتبة نور الحسن، كلية التربية، جامعة بغداد، بغداد، 2015.
27. خطيب البريزي، الكافي في العروض والقوافي، تح : حساني عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1994.
28. خلود العموش، الخطاب القرآني – دراسة في العلاقة بين النص والسياق – عالم الكتب الحديث، ط 1.
29. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح : عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب، بيروت، ج 1.
30. رابع بوحوش البنية اللغوية لبردة البويصري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982م (د ط).
31. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اللغة، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418 هـ.
32. الزمخشري أبو القاسم محمود، أساس البلاغة، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ج 2، 1998.
33. سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، تر : محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية.
34. السعيد شتوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث (2008) د ج، ط 1، (2008)، جمهورية مصر العربية (2008).
35. السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2008.
36. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، د ج، الطبعة الأولى (2004)، بيروت، لبنان، (د ت).
37. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.
38. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء، عمان، ط 1، 2002.

39. علي نجيب عطوي، البويصري شاعر المدائح البنوية وعلمها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1995.
40. عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، الجامعة الهاشمية، 2005.
41. فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، المقاربة التداولية، مركز الإنماء القومي، بيروت.